16 em Année No. 806 — Lundi — 13 — 12 — 1948

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٨٠٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ صفر سنة ١٣٦٨ — ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

المنبـــــوذة

— ١ —

جمعنى مجلس من مجالس المنصورة الأدبية ببعض السيدات الحديثات من اللائى يتزعمن دعوات الخير، ويتصدرن حفلات التكريم، ويغشين أندية الرياضة. وكان مجلسى من الصالون بين سيدتين رشيقتين أنيقتين لهما اطلاع على الأدب ومشاركة فى الثقافة. فجرى الحديث بينهما وبينى أول الكلام فيما يشغل الناس من أمر فلسطين ومصير اللاجئين؛ ثم أفضى إلى ذكر ما تبذلان من الجهد الجاهد فى معونة الهلال الأحمر ومبرة محمد على، فهم سياق حديثهما وما شاب أداءه من نبرات الزهو وحركات العجب على ما تضمران من حب الظهور ورغبة الشهرة، فى طوايا ما تظهران من حب الخير ورغبة النفعة. والمرأة الجميلة الغنية لا تجد فى الحياة المصرية مظهراً لفتنتها، ولا معرضاً لزينتها، ولا سبيلا لشهرتها، إلا فى الحفلات الخيرية والخدمات العامة: فهى تشترك فيها بالشعور والحضور لتظهر، وتتبرع لها بالجمال والمال لتُذكر. بله ما تشعر به من الرضا والغبطة بمنافستها للرجل فى ميدان عمله، ومساعدتها للوطن على تحقيق أمله.

ثم انتقلنا إلى حديث الأدب فذكرتنى إحداهما بما كتبته فى الرسالة عن (مثل المرأة الحديثة) فشكرت بعضه وأنكرت بعضه. وكان الذى أنكرته ما يرمى إلى تقييد المرأة وقصر كفايتها على تربية الطفل وتدبير البيت ومعاونة الرجل. ثم مضت تنوه بما يكون للمرأة الحرة المستقلة من أثر فى الأسرة وبلاء فى المجتمع إذا شاء الرجال أن يُفردوها بشؤون البيت ويشركوها فى أمور الوطن. وفى اللحظة التى كانت تقول فيها: «إن المرأة روح الأمة والرجل جسمها؛ وإن الزوجة رأى الأسرة والزوج عزمها، طغى على صوتها الحماسى صوت سيدة نَصَف كانت تتحدث فى تأثر وامتعاض إلى هلال من عقائل المدينة فيهن ربة الدار؛ فأصخنا وأصاخ الجلوس فإذا هى تروى حادث الطلاق الذى وقع فى الأيام الأخيرة بين فتى محافظ أبوه من نبلاء الريف، وبين فتاة حرة أبوها من أطباء المدينة. وكان سبب هذا الطلاق الذى أعقب الزواج أن العروس كانت مغرقة فى التحرر، مسرفة فى التجدد، فسمت بنفسها على أسرة العريس، ورمت حماها بالرجعية وحماتها بالأمية، وطلبت أن تسيطر على أرزاق البيت وعلى أذواق أهله، فتبدل أثاث الغرف كل سنة، وتغير زى النساء كل شهر، وتقيم حفلة استقبال كل أسبوع. ثم اقترحت أن يزال الجدار الحاجز بين البهو والردهة ليكون منهما مرقص متى أُريد الرقص ومقصف متى أريد القصف؛ وأن يُقلع الشجر الثمر فى الحديقة لينشأ على مكانه ملعب للتنس وحوض للسباحة. وكان المطلب الأخير ألا يدخل البيت ريفيون من أقارب الزوج ولا فلاحون من رجال العزبة. فلم يستطع الزوج معها صبراً، ولم يجد أبوه لترويضها حيلة، فكان الفراق وكانت الفضيحة!!

فلما سمعت جارتاى الخبر وكانتا على علم به من قبل، قالتا

بلسان واحد : « الودرنة المودرن ، والقديمة للقديم ! والخطيء هو الذى ينزل فى غير أهله ، ويقع على غير شـكله ! » .

ثم تركنا القوم يملقون على الحادث والحديث بما يشاءون ، وانتقلنا إلى مائدة الشـاى ثم عدنا حيث كنا . وعادت جارتى اليسرى إلى حديث التقييد والانطلاق ، وكانت جارتى الأخرى قد فتحت محفظتها وأخرجت منها قلم الروج أو الاصبع الأحمر وأخذت تجدد به صبغة شفتيها ، ثم أعادته وأخرجت سيكارة انجليزية وأشعلتها ، وقطعت صاحبتها الحديث وفعلت فعلتها . ثم لحظتنا بعض الفتوات على زينة الدعوات وأزيائهن ، وتبادلتا بعض الغمزات على كلام المتحدثات وآرائهن . ثم أقبلتا على تستأنفان ما كنا نخوض فيه من الحديث فوجدتانى شارد اللب مطرق الرأس مطبق الجفنين كأنما أخذتنى فترة النعاس ، فقالتا لى : ماذا عراك ؟ فقلت لهما : ذكرى بعثها فى الخاطر هذا الأحمر على شفتيكما وخديكما ! فقالتا : أنعم بذكرى تظفرنا منك بحديث ، وتمتعنا بلذة الموازنة بين القديم والحديث ...

(للحديث بقية) احمد حسن الزيات

الصهيونية هى الخطر الأول

فى حاضر الشرق العربى ومستقبله

للأستـــــاذ عمر حليق

قد يكون الـكاتب أو القـارئ العربى أو كلاهما مصابا بمركب « اليهودية » إذا جازلنا استعارة هذا التعبير من مصطلح علماء النفس ، ولـكن أى تعليل لا يعترف بأن الشـكلة الصهيونية هى الخطر الأول فى حاضر الشرق العربى ومستقبله لا ينصف الحقيقة ويساير منطق الحوادث والأشياء .

ولنترك الشرق العربى ، ولنترك فلسطين لنتعرف على لون من ألوان الخطورة التى تحيكها اليهودية المالية فى أمريكا وهى البلاد التى بلغ اليهود فيها أوج النفوذ وما يتبعه من رخاء وقوة وجاه .

فى هذه الحرب الباردة التى يشنها الروس والانجلوسكسون فى برلين وهيئة الأمم وأقصى القارة الأسيوية وفى كل ناحية من نواحى الحيـاة السياسية والاقتصادية والفـكرية تلعب اليهودية المالية بالنار لعبة أكبر الظن أنها ستحرق نفسها مرة ثانية فى أقل من عشرين سنة . أين تقف اليهودية المالية — وهى عالمية منظمة كما تشهد بذلك فلسطين — أين تقف من هذا الصراع ؟

إن النزاع بين المـاركسية السوفياتية وبين الديمقراطية الانجلوسكسونية حقيقة لا مفر لـكلتيهما من التسليم بها .

فالماركسية السوفياتية وما علق بها من فلسفة لينين وستالين تعترف فى تحليلاتها الاقتصادية والفلسفية والقانونية والسياسية بأن بقاء الشيوعية وحياتها ستظل معرضة للخطر ، خطر الفشل ثم الانحلال والدمار ، ما لم تحول العـالم بأسره إلى الشيوعية عن طريق الثورة وما يسبقها من ممهدات . فهى بذلك حركة توسع من نوع مستحدث وخطير معاً . ولن تنفع فى دفع هذه الحقيقة ملايين الخطب والتصريحات التى تصـدر عن موسكو وعن فيشينسـكى من منابر الأمم المتحدة . ذلك لأن هذا التوسع منصوص عليه فى التعاليم الشـيوعية وفى الدساتير الشيوعية وفى ثورات الشيوعية وكتبها المقدسة وفى ماركس وانجلس ولينين وستالين .

والرأسمالية الغربية ، وإن لم تـكن دساتيرها وفلسفتها السياسية وأنظمتها الاقتصادية تتطلب مثل هذا التوسع السوفياتى — فللغرب توسع استعمارى تقليدى من نوع مماثل فى السوء — إلا أن هذا التحدى السوفياتى يضع الديمقراطية الغربية فى نفس الوضع الهجومى الذى تقف فيه روسيا السوفياتية ، ويجعل أمريكا وهى معقل هـذه الديمقراطية فى هذه الأهبة التى تستعد فيها الواجهة للتوسع السوفياتى ولسحقه وإبادة الماركسية الثوروية من الوجود فى المراحل النهائية إذا استطاعت ذلك .

أين يقف اليهود ، وهم قومية لها فى كل معسكر جالية ضخمة العدد ، قوية النفوذ ؟

فى روسيا نفسها نجد العنصر اليهودى فى الحزب الشيوعى وفى ألسنته الشعبية والفـكرية بارزا أشد البروز .

فرئيس تحرير برافدا ، وإسفستيا ، وكبار الملقين فى راديو موسكو ، وكبار كتاب المقالة السياسية (أمثال اهرنبرغ) يهود ، ومساسلا تأس فى أمريكا وفى هيئة الأمم يهوديان كذلك .

وفى بولندا يبرز العنصر اليهودى فى النظام الشيوعى القائم هناك أشد البروزفى وجه مجتمع كاثوليكى عقت بحكم تعاليمه وتأصل التقوى فيه الشيوعية مقتاً — لعل الفاتيكان خير من عبر عنه فى أكثر من مناسبة .

وعلى سبيل المثال فإن الوفد البولندى لهيئة الأمم مؤلف من خمسة أعضاء رئيسيين كلهم يهود .

وفى رومانيا مدام بوكر وزيرة الخارجية (وهى ابنة حاخام) تحكم البلاد حكم السيد المطلق السلطة .

وكان لليهود فى انقلاب تشيكوسلوفاكيا اليد الطولى ، وفى هنغاريا وقسم الاحتلال الروسى فى النمسا وألمانيا عددهم ونفوذهم فى الحكم والتوجيه الفكرى والسياسى ظاهر .

ترى ما مبلغ عداء العناصر القومية فى تلك البلدان لهذه السيطرة اليهودية ؟ لا يمكنك أن تجد الجواب فى الصحف الحالية — فهذا غير معقول — ولا تجده كذلك فى الصحف الأجنبية فى الدول الديمقراطية ، فكلمة « اللاسامية » أصبحت — بفضل الضغط والدعاية اليهودية المنظمة — وسيطرتهم على معارض الإعلان ودور النشر والإذاعة والسينما ، وباء لا يلمسه المثقفون والكتاب فى العالم الغربى إلا ويضمون مستقبلهم الأدبى والاقتصادى فى يد « الجستابو » اليهودى الذى يطلق على نفسه فى أمريكا « مجمع مقاومة التشهير » وميزانيته للسنة الحالية ٦ ملايين دولار!

ولكن الظاهرة الخطيرة أن هذا الضغط ، هذا الجستابو اليهودى بشدته وجبروته أخذ يدفع العناصر الجريئة فى أمريكا إلى أن تحاربه بنفس السلاح — بالتشهير على طريقة جوبلز . ففى النشرة الأخيرة التى أصدرها هذا المجمع اليهودى نفسه يعترف بأن موجة العداء ضد اليهود فى أمريكا قد ارتفعت ارتفاعاً مخيفاً .

وهذه الظاهرة تدعو إلى التساؤل : ذنب من هذا ؟ ذنب اليهود أم غير اليهود ؟ الجواب أن الذنب على الغطرسة ، وعلى روح التحدى والخداع والمواربة التى تتملك العقلية اليهودية فى كل مكان وفى كل جيل فتجلب على اليهود وعلى المجتمع الذى يأويهم فوضى الشغب العنصرى الذى بليت به ألمانيا فى ظل النازية ، وبليت به روسيا العنصرية ، وأسبانيا الكاثوليكية من قبل ، وتبلى به العراق مثلا اليوم .

قلنا إن النزاع بين الشيوعية السوفياتية والرأسمالية الأمريكية حقيقة لا مفر من التسليم بها على شناعتها . واليهود فى أمريكا يعلمون ذلك ويعلمونه أكثر من كل المواطنين ، وذلك لأن وعيهم السياسى شديد فهو يتمشى مع عقليتهم ونشاطهم الاقتصادى . ولكن أين يقف اليهود ؟

اليهود هم العنصر الرئيسى فى الحزب الشيوعى الأمريكى ، وذلك بشهادة هذه التحقيقات التى لا تزال اللجنة البرلمانية الأمريكية تلاحقها منذ أكثر من سنة . واليهود وراء حزب هنرى والاس وهو حزب مهادنة الروس بأى ثمن .

ونسبة اليهود الذين يدرسون النظريات الماركسية والسوفيانية فى الجامعات ومعاهد العلم الأمريكية عالية جداً ، والكتاب الذين يعالجون مواضيع العلاقات السوفيانية والأمريكية بروح العطف تجد نسبة اليهود بينهم عالية جداً ، ولذلك كان من الصعب ، بل من المستحيل على الأصوات الأمريكية الخافتة التى تفهم قضية فلسطين وقضايا العالم العربى أن تقنع الرأى العام الأمريكى بخطورة محالفة موسكو والصهيونية فى فلسطين ، على المصالح الأمريكية .

ولذلك كان من الصعب جداً على خبراء السياسة العسكرية فى أمريكا وبريطانيا أن ينجحوا فى ضم أسبانيا إلى البرنامج العسكرى لأوربا الغربية .

وحتى فى مشكلة برلين، حيث التوتر على أشده يقف والترليبان وهو معقب سياسى يهودى خطير النفوذ يطالب أن تحل مشكلة برلين على حساب الشعب الألمانى بأن يبنى خط الدفاع العسكرى فى فرنسا وراء مناجم الرور وفحمه ! ويسوى خلاف أمريكا وروسيا ، بأن ينسحب الطرفان ويترك الشعب الألمانى لقدراته ، ببؤسه وحطامه لينيدا! ولزيادة التعريف بليبان هذا أقول إنه وضع مشروعاً لحل قضية فلسطين قبل أن يضع تقريره برنادوت بأربعة أشهر ، ومشروع برنادوت صورة فوتوغرافية لمشروع ليبان !

ومن قبل والترليبان هذا شرع يهودى أمريكى آخر ، هو هنرى موجنتاو عند ما كان وزيراً للمالية بواشنطون زمن الحرب وبعد انتهائها ، بمحو مقومات الثقافة والاقتصاد والكيان الحيوى لألمانيا بواسطة مشروع جهنمى اكتشف الأمريكان خطورته قبل أن يتم تحقيقه فأقيل مورجنثاو ، وهو الآن يدير المجهود الحربى ليهود فلسطين فى أمريكا .

ومن وجهة النظر الأمريكية البحتة فإن إحياء ألمانيا ضرورة لازمة .

ما الذى يفيده الشرق العربى من هذه الصورة اليهودية الخطيرة؟

الجواب يفيد فى مراقبة تسرب النفوذ اليهودى فى السنة الرأى العام والتوجيه الصحفى والثقافى فى العالم العربى؛ فحركة « الكاتب المصرى » يجب ألا تتكرر ، وديكتاتورية السينما والإعلانات اليهودية والأنباء الخارجية ، وتمكن اليهود فى النفوذ الاقتصادى العربى يجب أن يوقف بأى ثمن . إن هذا النفوذ هو الذى أعمى الأمريكان والروس معاً ، ومعهم عشرات الدول الأوربية من مأساة العرب فى فلسطين ، وعن مأساتهم فى السودان ومراكش

مجال الأدب بين مظاهر الشعور

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

يرى علماء النفس للشعور مظاهر ثلاثة : فهو تفكير إذا كان بحثاً عن حقائق الوجود لمعرفة أسبابها ، واستنباط قواعدها ، وإدراك ما بين بعضها وبعض من صلة أو تنافر ؛ وهو وجدان إذا صحبه إحساس باللذة والألم ، فالحب والبغض ، والسرور والحزن ، والرجاء واليأس ، والخوف والغضب ، كلها وجدانات تتصل بالنفس فتحدث بها لذة أو ألماً ؛ وهو إرادة إذا حفز المرء إلى العمل ، ودفعه إليه ، كالرغبات والنيات .

وإن بين هذه المظاهر النفسية اتصالا وثيقاً لا يتأتى معه انفصال واحد عن صاحبيه ، وإن كان المظهر الغالب لأحدها ؛ فمن المحال أن نجد الماً في أنفسنا من غير أن نبحث عن سببه ونبذل طاقتنا في سبيل إبعاده . ويستحيل أن نفكر في عمل عقلي من غير أن نشعر بارتياح إذا سهل الأمر وانقاد ، وامتعاض إذا اعتاص والتوى . والأعمال الإرادية يصحبها التفكير والوجدان ، ولا تستقل بنفسها أبداً .

غير أن الصلة التي تربط هذه المظاهر بعضها ببعض قد تكون طبيعية ، إذا كانت التجربة نفسها تستدعي هذا الترابط بطريق تداعي المعاني ، كما إذا وصل إليك نبأ نجاحك مثلا ، فإن خواطر شتى تفد إلى نفسك من كل صوب : ما بين سرور وابتهاج بما ظفرت به ، وتفكير في الوسائل التي انتهجتها ، فوصلت بك إلى تلك الغاية السعيدة ؛ إلى رغبات وعزمات تصمم عليها ، ويدفعك إليها هذا الظفر المحبوب ، وبينا ترى بعض هذه الخواطر واضحاً جلياً للنفس ، يحتل بؤرة الشعور أو الحواشي القريبة منها ، تجد بعضها الآخر غامضاً خفياً لا تكاد تشعر به ،

وتكون الصلة غير طبيعية إذا لم تكن التجربة مستدعية لها بطريق تداعي المعاني ، كما إذا كنت تدرس نظريات الهندسة ، فسئمت العمل وتركته فليس بين نظريات الهندسة والسأم من صلة .

ليس التفكير الخالص بميدان للأدب ، وإنما هو مرتع للعلم وحده ، أما الأدب فمجاله الإحساس بالحسن الذي يثير في النفس لذة ، أو بالقبح الذي يبعث فيها ألماً ، فالأدب تعبير عن هذا الإحساس ، وتصوير له ، فهو لسان الوجدان وترجمانه ، إذا كان العلم لسان التفكير والمبين عنه .

تسمع قول قُريط بن أنيف يعاتب قومه الذين لم ينجدوه ويمدح بني مازن ؛ لأنهم أخذوا بيده ونصروه :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذاً لقام بنصري معشر خُشُن ... عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته ... سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا ... شنوا الإغارة فرساناً وركبانا

فالشاعر هنا يصور لنا نقمته على قومه ، وازدراءه كثرة عددهم لخورهم وجبنهم ، حتى ليقابلون ظلم ظالمهم بالصفح والغفران ، وإساءة المسيئين إليهم بالعفو والإحسان . يلتمسون لضعفهم المعاذير ، من الخضوع لتعاليم الدين ، فكأن الله لم يخلق غيرهم لخشيته . أما بنو مازن فهو معجب ببسالتهم وإقدامهم ، يمنعون حماهم أن يستباح ، ويجد أعداؤهم فيهم خشونة لا تلين ، يسرعون إلى نصرة أخيهم قبل أن يطلبوا منه برهاناً على ما قال ، فلا عجب أن تمنى استبدال قومه بغيرهم .

يحدث الشاعر في تلك القطعة عن إعجابه وسخطه ، أي عن إحساسه بالجمال والقبح ، ونجح في تصويرهما ، مستعيناً على ذلك بألوان من الخيال ، تكاد تلمس بها خشونة جانب من نصروه ، وترى بها الشر مكشراً لهم عن أنيابه ، وتبصرهم طائرين لايلوون على شيء ، ومورداً هذه المناقضات التي ما كان يليق أن تكون ومتهكماً بهم تهكما مرا لاذعاً ، ويشعر القارئ لهذا الشعر بلذة أثارها فينا نجاحه في التصوير ، وبراعته في التعبير .

بينما نحن لا نعد من الأدب هذه المقالات العلمية التي تخاطب التفكير وحده ، من غير أن تشرك الوجدان معه .

والجزائر وتونس . كتبت جريدة «الجويش كرونيكل» اليهودية في لندن تقول إن يهود شمالي أفريقيا يعتقدون بأن كيانهم مرتبط بالاتحاد الفرنسي ، أمام بعبع الجامعة العربية !

وفي عالم مضطرب ، وفي شرق يحاول بناء حضارة ومجد أصيل ، يجب أن يعلم أن اليهودية العالمية تشكل أخطر ما يواجهه من شرور . إنه خطر تكرر في أجيال سابقة وثقافات سابقة وفي التاريخ لنا عبرة .

(نيويورك) عمر حليق

على أن الأديب قد يستعين بقضايا الفكر على تصوير هذا الإحساس، كما فعل المتنبي عندما أراد أن يصور حيرته اليائسة من الوصول إلى أن يدرك كنه الحياة ومصير الوجود فقال:

تخالف النـــاس حتى لا اتفاق لهم ... إلا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل: تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل تشرك جسم المرء فى العطب
ومن تفكر فى الدنيا ومهجته ... أقامه الفكر بين العجز والتعب

وهنا نجد الطريق ممهداً للحديث عن هدف الأدب، والحق أننا نقف بهذا الهدف عند حد الإثارة الوجدانية، فلا نطلب منه أن يمدنا بأفكار صادقة عن الحياة، ولا أن يثير فينا النزوع إلى الأعمال الصالحة، أى أنه ليس مهمته التعليم والإصلاح، وإن كان ذلك لا يمنع من أن يزودنا بالأفكار، أو أن يحرك إرادتنا للعمل، سواء أكان ذلك مقصوداً للأديب أم غير مقصود؛ فقد يقف الأدب عند حد الإثارة الوجدانية فحسب، كما فى أدب الطبيعة، وشعر الغزل وكثير من المراثى والرسائل، والمقالات العاطفية المحضة، مثل قول البحترى:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز فى غسق الدجى ... أوائل ورد كن بالأمس نوّما
يفتّقها برد الندى فكأنه ... يبث حديثاً كان قبل مكتما
فمن شجر رد الربيع لباسه ... عليه، كما نشرت وشياً منمنما
أحل، فأبدى للعيون بشاشة ... وكان قذى للعين إذ كان محرما
ورق نسيم الريح حتى حسبته ... يجىء بأنفاس الأحبة نعّما

وقول القشيرى:

حننت إلى ريّا ونفسك باعدت ... مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتى الأمر طائعاً ... وتجزع أن داعى الصبابة أسمعا
قفا ودعا نجداً، ومن حل بالحمى ... وقلّ لنجد عندنا أن يودعا
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا ... وما أحسن المصطاف والمتربعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا ... وجالت بنات الشوق يحنن نزّعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفت نحو الحى حتى وجدتنى ... وجعت من الإصغاء ليتاً وأخدعا
وأذكر أيام الحمى، ثم أنثنى ... على كبدى من خشية أن تصدعا
وليست عشيات الحمى برواجع ... إليك ولكن خل عينيك تدمعا

وقول ابن الرومى يرثى ابنه:

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدى ... فجودا فقد أودى نظيركما عندى
ألا قاتل الله المنايا ورميها ... من القوم حبات القلوب على عمد
توخّى حمام الموت أوسط صبيتى ... فلله كيف اختار واسطة العقد
على حين شمت الخير من لمحاته ... وآنست من أفعاله آية الرشد
طواه الردى عنى فأضحى مزاره ... بعيداً على قرب، قريباً على بعد
لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها ... وأخلفت الآمال ما كان من وعد
لقد قلّ بين المهد واللحد لبثه ... فلم ينس عهد المهد إذ ضم فى اللحد
محمد، ما شىء توهم سلوة ... لقلبى إلا زاد قلبى من الوجد
أرى أخويك الباقيين كليهما ... يكونان للأحزان أورى من الزند
إذا لعبا فى ملعب لك لذّعا ... فؤادى بمثل النار عن غير ما قصد
فما فيهما لى سلوة بل حرارة ... يهيجانها دونى وأشقى بها وحدى

وحيناً يمدنا بمعلومات عن الحياة، ونظم الكون والمجتمع على شريطة أن يكون ذلك ممتزجاً بشعور الأديب، وناشئاً عن تجربة شخصية له، كما ترى ذلك فى ألوان الأدب الاجتماعى والسياسى وفى شعر الحكمة كقول زهير:

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يجعل المعروف فى غير أهله ... يكن حمده ذماً عليه ويندم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم، ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه ... ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وقول المتنبى:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف فى موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ... ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا
وقيدت نفسى فى ذراك محبة ... ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

وقوله:

إنما أنفس الأنيس سباع ... يتفارسن جهرة واغتيالا

من أطاق التماس شيء غلابا ... واقتساراً لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى ... أن يكون الغضنفر الرئبالا

وقديماً عدوا حسن إيراد الحجة من البلاغة، وضربوا بذلك المثل بقوله تعالى: «وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه، قال من يحيى العظام وهي رميم؟ قل: يحييها الذي أنشأها أول مرة، وهو بكل خلق عليم، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون، أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم؟ بلى، وهو الخلاق العليم، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون؛ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون».

وحيناً يثير الأدب فينا الإرادة، ويدفعنا إلى العمل. وأظهر ما يتجلى ذلك في الخطابة، فإنها كثيراً ما ترمي إلى إثارة التفكير المصحوب بالوجدان والمتبوع بالعمل كخطبة عبد الله بن طاهر في جنده، وقد تجهز لقتال الخوارج: «إنكم فئة الله، المجاهدون عن حقه، الذابون عن دينه، الذائدون عن محارمه، الداعون إلى ما أمر به من الاعتصام بحبله، والطاعة لولاة أمره، الذين جعلهم رعاة الدين، ونظام المسلمين، فاستنجزوا موعود الله ونصره، بمجاهدة عدوه، وأهل معصيته، الذين أشروا وتمردوا، وشقوا عصا الطاعة، وفارقوا الجماعة، ومرقوا من الدين، وسعوا في الأرض فساداً، فإنه يقول تبارك وتعالى: «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» فليكن الصبر معقلكم الذي إليه تلجئون وعدتكم التي بها تستظهرون، فإنه الوزر المنيع الذي دلكم الله عليه، والجنة الحصينة التي أمركم الله بلباسها. غضوا أبصاركم، وأخفتوا أصواتكم في مصافكم، وامضوا قدماً على بصائركم، فارغين إلى ذكر الله والاستعانة به، كما أمركم الله، فإنه يقول: «إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون». أيدكم الله بعز الصبر، ووليكم بالحياطة والنصر».

فأنت تراه قد أثار وجدانهم، بما عرضه عليهم من الأفكار ليدفعهم إلى الجهاد.

وكما في الآيات القرآنية التي ترمي إلى تحريك الإرادة مثل قوله سبحانه: «ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» وكقول الشاعر

دببت للمجد والساعون قد بلغوا ... جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم ... وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وأكثر ما يحرك الأدب الإرادة من غير أن يأمرها بذلك، كما في الروايات التمثيلية الخلقية والاجتماعية، وكما في كثير من الشعر، وربما كان هذا هو ما حدا الأقدمين إلى أن يوصوا أولادهم بحفظه ودراسته؛ بل ربما كان هو المعنى الذي لحظوه عندما وضعوا لهذا اللون من القول الجميل اسم الأدب. قال معاوية لابنه: «يا بني، ارو الشعر وتخلق به، فلقد هممت يوم صفين بالفرار مرات فما ردني عن ذلك إلا قول ابن الإطنابة:

أبت لي همتي، وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقدامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمي بعد عن عرض صحيح

وأنت ترى الشعر نفسه لا يطلب إقداماً، ولا يحث على ثبات، ولكنه حديث عن هذا النزاع الذي دار بنفس قائله، وهو في ميدان القتال، وكيف استطاع أن يثبت في هذا الميدان، يحمله على الثبات ماض مليء بالجهاد، وهمة تأبى النقيصة، وقلب موكل باكتساب الحمد، ونفس اعتادت الإقدام على المكاره، وضرب هامات الأبطال دفاعاً عن مآثره، وحماية لعرضه. وليس في الشعر سوى هذا، ولكن معاوية رأى في صاحبه بطلا جديراً بالاقتداء.

وبما قدمناه يتبين أن هذا الخلاف على أن الإصلاح الاجتماعي من أهداف الأدب خلاف ظاهري، يزيله تحديد معنى الأدب، وتحديد مجاله، أما وقد قلنا: إن كل ما في الحياة يصلح أن يكون موضوعاً للأدب؛ على أن يتناول من ناحية إحساس الأديب بما فيه من جمال أو قبح، فلا ضير على الأديب إذاً أن يتناول مسألة خلقية أو اجتماعية يعالجها، أو أن يدعو إلى فضيلة أو ينهى عن مأثمة، على شريطة أن يكون ذلك من تجاربه، وأن يثير فينا الوجدان، فيرضى فنعمل، أو يكره فنكف.

الأديب حر في أن يتناول ما يشاء من تجاربه، من غير أن نضع له خطة ينتهجها، وكل ما نطالبه به أن يرسم لنا شعوره؛ ولذا نرى من الأدباء من أحس بجمال المشورة فمدحها، كبشار بن برد إذ قال:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة   فإن الخوافي قوة للقوادم

ومنهم من لم ير فيه جمالاً ، كعبد الملك بن صالح حين قال : « ما استشرت أحداً إلا تكبّر على ، وتصاغرت له ، ودخلته العزة ، ودخلتنى الذلة ، فعليك بالاستبداد ؛ فإن صاحبه جليل فى العيون ، مهيب فى الصدور ، وإذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون ، فتضعضع شأنك ، ورجفت بك أركانك ، واستحقرك الصغير ، واستخف بك الكبير ، وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصائحه » . وكلا القطعتين من الأدب .

أما التعبير الإباحى فليس من الأدب ، ولا الفن الجميل ، لأننا نعنى بالإثارة ، تلك الإثارة الوجدانية الروحية الخالصة ، أما إثارة الغريزة الجنسية فليس من عمل الأدب ، ومثل هذا اللون من القول مثل الصور الخليعة الماجنة لا يعدان من الفنون الرفيعة .

أحمد أحمد بدوى
المدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

طرائف من العصر المملوكي :

عبرتان من عبر التاريخ

للأستاذ محمود رزق سليم

هاتان عبرتان من عبر التاريخ — وكم فيه من عبر — نسوقهما إلى زعماء العرب وشعوبها ، فى هذه الأزمة الخانقة والآونة الحاسمة التى يمرون بها أو تمر بهم . ولعل فيهما متعظاً ومعتبراً .

فى كل عبرة منهما نزل خطب ، وألمت شدة ، وحزبت ضائقة ووقف عدو لدود بالمرصاد .

أما فى الأولى فقد التأمت الصفوف وتنادت الأصوات وتصافت النفوس ولت الأيدى واجتمع الهوى ، حتى أصبح المسلمون — أو بعضهم — جبهة واحدة ، فردوا العدوان ودفعوا الطغيان وكانت عاقبتهم نصراً مؤزراً وغلباً مظفراً .

أما فى الثانية فقد تغيرت القلوب وانتثر الشمل وتفرقت الأيدى ، وأضمر الغدر ، وحيكت الخيانة ، فكانت العاقبة خساراً ودماراً ، وشقوة وبواراً .

هما موقفان من مواقف الأمة المصرية وقادتها ، كان أولهما فى مطالع العصر المملوكى ، وكان ثانيهما فى أخرياته . يتمثل فى الأول مزايا الإقدام والشجاعة ، وعواقب الحزم والعزم ، وفوائد الوحدة والتعاون ، بما يحق الحق ويصون الكرامة ، ويُبقى العزة ويؤثل المجد ، ويضفى المهابة . ويتمثل فى الثانى مثالب الخور والجبن ، وعواقب التردد والضعف ، وغرم التفرق والخلف . بما يهدر الحق ويشيع الذل ويمكن للفساد ، ويصوح به نبت الحياة .

أقبل عام ٦٥٦ هـ يحمل فى جعابه للأمم الإسلامية سهاماً مريشة ، وعلى مناكبه رماحاً مشرعة ، تنذر بالويل والثبور ، والهلاك والدثور . فها هم أولاء التتار قد نسلوا من أواسط آسيا بعد أن خربوا الديار وأباحوا الذمار ، بقلوب فاجرة ، وأفواه فاغرة وحب السفك تغلى به دماؤهم ، وتضطرب أعضاؤهم ، وقد هيئوا العدة ، وجمعوا الكيد ، فتجهم بهم وجه الأفق ، واربدت بهم صفحة السماء ، واكفهر جو القدر وأرجف المسلمون فى كل مصر أن حدثاً جللاً سيقع . فتدافعت سيول التتار إلى بغداد والعراق ، بعد أن خلفوا وراءهم أمماً باكية وشعوباً ممزقة وعروشاً مثلولة . فأتموا ببغداد فصول روايتهم ، وأزالوا من سمائها شمس الخلافة العباسية ، وأثخنوا فى أهلها ما شاء لهم العرام والشراسة وحب السفك والفتك .

تسامع الناس بأخبارهم فى ديار حلب والشام ومصر ، وأخذت الفرائص ترتعد هلعاً وفزعاً تترقب هبوط هذا الوباء التترى آونة وأخرى . وكانت ديار حلب والشام مقسمة دولاً صغيرة متنابذة متعادية متوالية يحكمها بقايا من أمراء بنى أيوب . بينما كانت مصر قد تأثل فيها المماليك دولة عتيدة وسلطنة مجيدة جهد مؤسسها عز الدين أيبك فى توطيد دعائمها وتثبيت أركانها منذ عام ٦٤٨ هـ . ثم خلفه ابنه المنصور ، وكان حدثاً صغيراً ، فأقيم الأمير « قطز » المعزى مملوك أبيه نائباً لسلطنته وفوضت أمور الدولة إليه . وكان على دمشق أمير من الأيوبيين اسمه الناصر ، ترددت الأطماع فى نفسه أن يدهم مصر ويستأثر بملكها . فلذلك كان بينه وبين سلطان مصر دخل وجفاء . وبينما كان الناصر بين الخوف والطمع إذ وافته رسل « هولاكو » التترى تطالبه برسالته التى يهدده فيها ويتوعده ، ويدعو إلى الدخول فى طاعته . وبين سطورها

يخاطبه ويقرو . « إذا وقفت على كتابى هذا ، فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه رُوى زمين ، تأمن شره وتنل خيره . كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . ولا تعوق رسلنا عندك كما عوقت من قبل فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بأموالهم وحريمهم إلى « كروان سراى » ، فإن كانوا فى الجبال نسفناها ، وإن كانوا فى الأرض خسفناها .

أين النجاة ولا مناص لهارب ولى البسيطان الثرى والماء

ذلت لهيبتنا الأسود وأصبحت فى قبضتى الأمراء والوزراء

فقُـزِّعت أحشاء الناصر ، وصُكت ركبتاه ، وسقط فى يده ولم يدر ما يصنع . فأرسل إلى « قطز » يستجديه معونة مصر ، بعد أن كان طامعاً فى ملكها وكان « قطز » قد شعر بالخطر القريب ، وفطن إلى الشر المرتقب فأخذ يعد للأمر عدته ، ويتخذ له أهبته . وتحيل حتى خلع سلطانه « المنصور » وقفز بنفسه إلى سرير الملك ، ليكون طلق اليد حر الإرادة فى تدبير الأمور ، فى هذا الوقت الحرج والموقف الشائك . غير أن وثوبه إلى العرش قد أحقد بعض الأمراء عليه وأحنقهم ، فتجهموا له ، وهموا به فأخذ يترفق بالثائرين حتى هدأ من ثورتهم ، ويتلطف بالحانقين الحاقدين حتى فلل من حنقهم وثبط من حقدهم ، واعتذر إليهم بأنه لا مأرب له فى ملك أو سلطان ، ولا مطمع فى عرش أو تاج وإنما همه الأول أن يكونوا يداً على من سواهم ، وأن يدفعوا عن أنفسهم وديارهم خطر التتار ، الذين ما دخلوا قرية إلا أفسدوها ، ولا مصراً إلا جعلوا أعزة أهله أذلة ، ولا بلداً إلا عبثوا بتراثه ، أولئك التتار الذين ضجت لهم الأرض وملئوا فجاجها بالدماء ، وعُرفوا بأنهم القوة التى تغلب ، والوباء الذى لا يستطاع كفاحه .

ويذكر بعض المؤرخين أن هذا السلطان « قطز » هو محمود ابن ممدود ، وأنه ابن أخت جلال الدين شاه خوارزم الذى أباد التتار ملكه وعفوا أثره . وقع محمود هـذا فى الإسار ، وتنقل به ذله من دار إلى دار ، حتى دفع به المقدار إلى مصر ، فابتاعه سلطانها « المعز أيبك » فاستأثر برقه . وكان حبيباً إلى قلبه قريباً إلى مجلسه ، أثيراً عند تدبيره . فملأ نجمه ، وزكت فيه مخايل الإمارة ، وروى فى أعماقه صوت الثار وصلصل جرس الانتقام فما هو إلا أن ملك الناصية وأخذ بالزمام ، حتى قاد أمراءه وجنوده بعقاد الحزم وذكرهم بواجبهم المقدس حيال الاسلام ، وأنهم إن أحجموا باد . وإن أقدموا ساد . وهاهم أولاء يرون دولة تسقط فتبيد واحـدة إثر أخرى . فراعهم بهذا الخطاب ، وملكهم بعنانه الخلاب ، فألقوا إليه السلم ، وتوافدوا إلى حظيرته زمراً زمراً ، بعد أن بث فيهم عزماً من عزمه ، وحماساً مما يتقد فى جسمه .

تطايرت الأخبار منذ أوائل عام ٦٥٨ هـ إلى مصر ثوب التتار على حلب ودمشق وغيرهما من بلاد المسلمين ، وما اجترحه أولئك الطغاة فيها من قتل وسبى ، وسلب ونهب ، وتخريب وتدمير وتشريد ، وظلم وجور ، وعجت التخوم والمسالك بالفارين واللاجئين من وجه البغى والعدوان .

وجاء النذير إلى مصر ، ووفدت إليها رسل هولاكو — بعد أن أمر الناصر وخرّب دياره — ومعهم رسالة إلى سلطانها يقول فيها : « من ملك الملوك شرقاً وغرباً ، القان الأعظم . باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء . يعلم الملك المظفر قطز ، الذى هو من جنس المماليك الذين هـربوا من سيوفنا إلى هـذا الإقليم ، يتنعمون بأنعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك . يعلم الملك المظفر قطز ، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته ، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود عليكم الخطأ فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكا . وقد سمعتم أننا قـد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد . فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب . فأى أرض يأويكم ، وأى طريق تنجيكم ، وأى بلاد تحميكم ؟ فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص ، فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال » ... الخ .

حزم « قطز » رأيه وشاور أمراءه ، فأيقنوا جميعاً بالخطر

الدائم والشر المستطير . وأنهم إن لم يأخذوا الطريق على عدوهم بقلب شجاع ونفس مغامرة وروح فادية ، دهمهم فى عقر دارهم ، وأزال ملكهم ، وخرب ديارهم ، وهم البقية القوية من جند الإسلام . ولهم عبرة بما اجترح التتار فى الشام والعراق والجزيرة وأواسط آسيا . فقر رأيهم على قتل رسل « هولاكو » وعلقوا رءوسهم على باب زويلة ، وأعلنوا فى الناس بالجهاد ، والخروج فى سبيل الله ، دفاعاً عن النفس والعرض والدين . وأعجل الجنود عن شئونهم ، ودُبر المال ؛ ورأى السلطان تواكل بعض الأمراء ، فقرعهم تقريعاً شديداً ، وقال لهم . « يا أمراء المسلمين ! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون . وأنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبنى ، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته . فإن الله مطلع عليه . وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين » فأقبل الأمراء عليه يقسمون له يمين الطاعة والولاء .

نفر جيش مصر بمدده وعدده ، يتقد حماسة ويفيض رغبة فى القتال وعلى رأسه سلطانه « قطز » الشجاع الباسل الصنديد . يحف به أمراء باعوا نفوسهم لله ، يحدوهم الولوع إلى لقاء التتار ، فإما حياة كريمة ونصر مؤزر ، وإما موت لا يقاس به موت .

وهناك فى عين « جالوت » بفلسطين ، التقى الجمعان فى معركة حامية سالت فيها أنهار الدماء ، وتجمعت أكداس الأشلاء . ولما اشتد وطيسها على المسلمين صرخ « قطز » من الأعماق قائلا : « وا إسلاماه » فدوى صوته فى آذان جنوده . وكأنما كانت صرخته إشارة بالكر ، أقدموا لا هيبة ولا وجل ، وأخذوا التتار من كل جانب حتى قتل قائدهم « كتبغا » وولت فلولهم لا تلوى على شىء . فتبعهم المسلمون إلى « بيسان » فدارت بها رحى معركة جديدة ، دحر فيها التتار وأسلموا للفرار ، تاركين من ورائهم قتلى قد ضاق بها الفضاء .

استطاع جيش مصر وحده بهاتين الوقعتين أن يحمى بلاد الشام من شر التتار ، وأن يقذف بهم إلى غير رجعة بعيداً عن أرض مصر ، فلم تطأها لهم قدم . وتعتبران نقطتى تحول حاسم فى تاريخ مصر لا تقلان فى أهميتهما عن موقعة « العلمين » فى الحرب الأخيرة . وبدت بهما قوة التتار خرافة لا سند لها ، وأن التغلب عليها مستطاع ، متى صدق الإيمان ، واجتمع الصبر والتعاون ، واتحدت القلوب وقد عاشت سلطنة المماليك بعدها بفضل شجاعة « قطز » وموقفه الرائع ، أكثر من قرنين ونصف .

أما فى الموقف الثانى فقد كان فى عام ٩٢٢هـ على عهد سلطان مصر قانصوه الغورى ، الذى اقتيد إلى العرش بين بكائه وتمنعه رهبة وإشفاقاً من المصير . فقد كانت البلاد مزقتها الفتن الداخلية والحروب الأهلية ، ولج بين بنيها الخلف ، وصنع بهم ما يصنع السيف . وخوت خزائنها على عروشها . ولم تعد بها إلا حثالات وشراذم من أمراء وجنود ، تملأ كل شرذمة العصبية لنفسها ، وحب الجهاد لمنفعتها ، غير آبهة لسواها إلا مزاحمة ومجالدة ، ولم يعد يعنيهم من شئون البلاد شىء إلا استغلالها . بينما كانت دولة العثمانيين فى آسيا الصغرى تبسط سلطانها وتنشر طغيانها . وما وافى عام ٩٢٢ هـ حتى أخذت تمهد لغزو الشام ومصر . ووطئت أنباء استعدادها آذان البلاد . فاضطر الغورى إلى الخروج عن البلهنية والطمأنينة ، إلى العمل على اللقاء . وشرع يجمع القادة والجند ويحثهم على التهيؤ للخروج إلى الجهاد ، فكان كأنه يستجديهم شيئاً لنفسه ، لا أنه يتقاضاهم القيام بواجبهم . لذلك اثاقلوا عنه ولم يخفوا إليه . وكان كل ما حوله يخذل عن القتال ويثبط عن النفور إليه إلا بقية ممن لا تزال بهم بقية من ضمير ، وقبس من إخلاص ، وإثارة من كرامة .

وكانت بالسلطان غفلة لا تنبغى لمثله فى وقت شدة وضيق ، وكلما وردت أخبار تومى إلى الصلح والتراضى بينه وبين العثمانيين هش وبش ، وهلل وكبر ، وفرح واستبشر . ولعله كان يرى من وراء ذلك إلى حسم العداء وحقن الدماء ، ولاسيما أن العثمانيين إخوان فى الدين . ولكن اللهج بالصلح ضعف ، واشتهاء الموادعة خور ، والاستسلام للعافية جبن .

وكانت تجيئه رسل السلطان سليم فيبهرونه باللسان المعسول ، والهدية النفيسة ، فيلقاهم لقاء الحافل ، ويمانهم عتاب الخليل ، وما كانوا إلا ليمهدوا للظفر بالغافلين . وبث العثمانيون العيون لينقلوا إليهم أخبار مصر وجيشها الباسل وسلطانها الخوار ، فلم يعمل أحد على قطع دابرهم والقضاء عليهم ، وبعث نائب السلطان بالشام إليه يجأر بالشكوى مما بالشام من غلاء فاحش وجدب ضارب ، وينكر أن للعثمانيين رغبة فى القتال ، ويدعو السلطان إلى القبوع والقعود .

ومهما يكن من شىء فقد أنصف السلطان نفسه ، وأعد العدة

وأنفق المال ، وجمع الجند وعين القادة ورتب أمر الخروج إلى الشام لملاقاة بنى عثمان . وهو لا يعلم أن العثمانيين قد اتصلوا ببعض أمرائه فوجدوا منهم نفوساً هزيلة وقلوباً عليلة لا تكبر الأمانة ، وتستعذب الخيانة فى سبيل المطمع غير المشروع ...

خرجت مواكب الجيش تترى ناسلة إلى دمشق فحلب ، وعليها طلاوة وبها خيلاء ، يحسب من يراها أنها إلى النصر تسير وإلى الغلب تطير . وهو لا يعلم أنها تجمع قوماً إن لم يعزقهم الضعف فقد فرقهم الخلاف ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، عمادها فريقان من المماليك هما « الجلبان والقرانصة » ، وبينهما عداء مستحكم اضطرمت ناره وتطاير شراره ، وقد تمكن منهم الفساد وحب العناد .

لا نريد أن نسهب إسهاباً تاريخياً فى وصف مظاهر الضعف فى الجيش المصرى ، ولا فى أنباء قتاله حينذاك ، فقد امتلأت بهذه الأنباء بطون الموسوعات .

وحسبنا أن نذكر أن هذا الجيش — على علاته — التى جيش العثمانيين على كثرة جنده ووفرة عدده ، فكاد يذهبه بدداً ويفرقه طرائق قدداً ، وذلك فى موقعة « مرج دابق » لولا أن أطلت الخيانة بقرونها ، وطلع الغدر عليه مطلع الشيطان . فانحاز بعض القادة عن سلطانهم بلا سبب ، ودبت الوقيعة بين القراصنة والجلبان فشغلتهم أنفسهم عن واجبهم ، فكر العثمانيون عليهم وطمنوا القلب ، وفيه السلطان يدافع عن شرفه وكرامته ، وقد أسفه تفرق الأنصار عنه ، وفرار الأصحاب منه . فاضطرب لبه ، وامتلأ بالحسرة قلبه . وفلج لوقته وتهاوى عن متن جواده وتناولته سنابك الخيل . ودارت الدائرة على جيش مصر ، ورجعت إليها فلوله باكية حزينة .

وتعتبر موقعة « مرج دابق » المشئومة من المواقع الفاصلة فى تاريخ مصر . فتحت أمام العثمانيين الطريق إلى غزوها وتمام إخضاعها . وهكذا جثت مصر والشام أمام الغزاة ، ووقعتا فريستين سمينتين لهم ، فلبثوا بهما زهاء ثلاثة قرون تمسة شقية ، لم تسعدا فيها بيوم هناء .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

حديث إلى العرب*

للأستاذ عبد المنعم خلاف

بين هذا الحديث ، ومؤامرة الدول الكبرى على فلسطين العربية تتكشف ، ونوايا الأمم الغربية الكبيرة والصغيرة ومواقفها من الصهيونية والعرب تتضح وتفتضح ، ويظهر خبيئها المستور ، وقد فقد العرب جميع أصدقائهم تحت ضغط المصالح التى فى أيدى الدول الكبرى ، والقضية الفلسطينية تجتاز دورها النهائى ، بعد أن أوشك أن يتم الاتفاق الدولى على تمزيق فلسطين وتقسيمها والاعتراف بإسرائيل دولة الإرهاب ، وجميع التيارات الظاهرة والخفية في اللجنة السياسية التابعة لهيئة الأمم ، كلها تتجه اتجاهاً واحداً في مسألتين : هما أن لليهود الحق فى إقامة دولتهم ، وأن تكون القدس دولية يعين عليها حاكم من قبل هيئة الأمم المتحدة ، وأن تتولى لجنة توفيق معينة من قبل الهيئة تحديد تخوم تلك الدولة ، ويكون الباقى للعرب . وسواء اتصل العرب بهذه اللجنة أم قاطعوه ، فهى ستمضى فى مهمتها على ضوء ما تسفر عنه قرارات اللجنة السياسية أو هيئة الأمم .

ولم يكن — كما ترون — لعبث اليهود المتكرر بالهدنة ، ولا لتشريدهم مئات الألوف من العرب الآمنين ، ولا لقتلهم وسيط هيئة الأمم ، ولا لافتضاح المؤامرة بينهم وبين الشيوعيين التى ثبتت بالوثائق والدلائل القاطعة ، ولا لاعتدائهم المتعمد على مقدسات المسيحية والإسلام ، أى تأثير فى تغيير سياسة هيئة الأمم ومجلس الأمن نحوهم ، بل بالعكس كلما زادوا إمعاناً فى انتهاك الحرمات ، وإقبالا على تحطيم كرامة الهيئة ، زادتهم تأييداً وتدليلا .

أما العرب ، فقد تلقوا هذه المؤامرات والمكايد بصبرهم المعهود ... فوفودهم لا تزال تجادل وتكافح فى المجال السياسى الدولى بدون جدوى ، وجيوشهم لا تزال تحترم الهدنة ، وشعوبهم لا تزال تنتظر ما تستقر عليه قرارات حكوماتهم بعد انكشاف المؤامرة ، ولم يكن هذا النضج السياسى لدى العرب الذى أوشك أن يتحول إلى احتراق وخمود ، أى تأثير فى المجامع الدولية والضمير العالمى الخرب بمقدار ما كان لأفاعيل اليهود واعتناقهم مبدأ الاعتماد على الأمر الواقع والتمهيد به إلى تحقيق آمالهم والتدرج به نحوها خطوة خطوة .

ولقد أعذر العرب بصبرهم إلى العالم أجمع ، وسواء كانوا محمولين على صبرهم هذا ، كما يحمل على السقم السقيم ، خضوعاً للضرورات ، وتفادياً من الوقوع فى شرك المؤامرات الدولية التى تتمنى أن يزلوا ويخطئوا لتحكم عليهم ومعها الحجة بإدانتهم ، أم كان صبرهم هذا طبيعة فيهم ونضجاً خلقياً وسياسياً منهم ، وجنوحاً للسلام حين يدعو داعيه ، ولو كانت دعوته خداعاً ...

سواء أكان هذا أم ذاك ، فقد وضح الصبح لعيونهم ورأوا على ضوئه كرامتهم المهانة ومركزهم الدولى المتهن ، وصبرهم المتهم بالضعف والعجز والبلادة ، ومثلهم العليا التى لا تقدرها ، وكميتهم المهملة التى لا وزن لها ، وفشل هذا الدور من كفاحهم السياسى فشلا ذريعاً لا يمكن نكرانه ولا التهوين من نتائجه .

والسؤال الآن الذى يتردد على فم الدنيا هو : ما ذا يفعل العرب بعد ذلك كله ؟ هل يريدون أن يحيوا أم يريدون أن يفنوا ؟ هل يطيلون الصبر على هذه النظرة العالمية الظالمة إليهم ، أم يردون إلى أنفسهم اعتبارها ويثبتون وجودها ؟ هل يريدون أن يبقوا على عدوهم فى ديارهم ليجلب عليهم بخيله ورجله ، وليكون لهم عدواً وحزناً ونحساً ورهقاً وخيالا ، أم يقضون عليه وفى أيديهم روحه قبل أن يستفحل شره ، ويستحيل ذئبه الخسيس إلى أسد شجاع؟

هل يعلمون ويعقلون أهدافه الواسعة الطامعة فى بلاد العرب كلها من النيل إلى الرافدين ، وما بعدهما ، وأحلامه فى محو أهلها وتحويلهم إلى عبيد وحيوانات بشرية ، وزرعها كلها يهوداً ، أم يغفلون عن هذه الأهداف ولا يدركون مداها ويحسبونها قاصرة على فلسطين الصغيرة وحدها ؟ !

(١) أذيع من محطة الإذاعة اللاسلكية المصرية فى مساء أول ديسمبر سنة ١٩٤٨

لئن شاء العرب لحولوا سم السرطان الصهيونى الذى فرضته عليهم القوى المشئوم ترياقاً يوقظ بلسماته وموجماته قوى الكفاح الكامنة فى كيانهم المعنوى والمادى ، ويثير فيهم حمى الحقد والثأر ومجازاة الشر بالشر وعزائم المقاومة التى خدروها وأناموها فى عالم لا تنام فيه لقوى الشر والبغى عين !

أجل ... إن شاء العرب ، كان فى هذا الشر الجديد ميلاد لقوى جيوشهم الحديثة وحرية اقتصادياتهم الوفيرة ، وكان فيه دفع حثيث لهم إلى السباق الدائم بين الأمم نحو العلم المادى الذى يعتمد عليه عدونا ، ويسرع إلى استغلال أسراره ، يتخذ منها أسلحته وخيوط شباكه حديثاً كما كان يسرع إلى استخدام السحر والجن قديماً ، كما ورد فى آثاره ...

وإن شاءوا كان فيه دافع عنيف إلى توحيد قلوبهم توحيداً حقيقياً ، يولده الدم المتحد ، والعقائد المشتركة ، والمصالح المشتركة ، والأخطار المشتركة ، فلم يعد هذا الزمن يحتمل تفرق كلمتنا وعيشة دولنا عيشة القبائل التى لا تجمعها وحدة متينة ، وليصيبن بغداد وعمان والقاهرة وبيروت ودمشق ومكة وصنعاء وغيرها من عواصم العرب ما أصاب القدس وحيفا ويافا إذا قالت كل أمة أو حكومة فيها : نفسى ... نفسى ... وحسب كل جيش من جيوش العرب أن نصره أو هزيمته له وحده !

وهذا التوحيد الحق للقلوب والجهود فى جميع أقطار العرب ، هو السلاح الضرورى الأول الفعال الذى لا جدوى لأى سلاح بدونه ، وما أتى العرب ولا أصابهم ما أصابهم للآن إلا من تفريطهم فى هذا السلاح . فعلى الشعوب العربية أن تدفع زعماءها وقادتها ، إذا ترددوا ، على هذا التوحيد دفعاً لا هوادة فيه ولا تباطؤ ، فإن الحرب بيننا وبين أعدائنا حرب فى كل لحظة ، وعلى كل ثغرة ، وفى كل ميدان ، ومن كل فرد ، فدولة إسرائيل المزورة ، إذا قامت ، ستكون كلها معسكراً يعمل فيه النساء والرجال والكبار والصغار ليل نهار ، ويعده بالأخبار والأسرار ، وينفذ خططه طوابيره الخامسة فى كل بلد عربى محيط به ، والصهيونيون يعلمون مقدماً ما يبيته لهم العرب وما توعدوهم به من خنق عسكرى واقتصادى وسياسى ، ولذلك سيعملون بنفوذهم الذى لا ينكر فى العالم وفى البلاد العربية على إحباط ذلك إذا لم نتيقظ لهم ، وسيكون أول عمل لهم هو إفساد ذات البين فى علاقات الشعوب العربية داخلها وخارجها ، وضرب طبقاتها وأحزابها بعضها ببعض عن طريق الدعوات الاقتصادية والمالية ، وإفساد عزائم الشباب وقوامهم بإضرام الشهوات وشغلهم بها عن آفاق مجدهم وكرامتهم ، وعما يبيت لمستقبل أوطانهم وعقائدهم .

والصهيونيون لم ينالوا ما نالوه من نفوذ بالغ فى العالم ، ولم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بشعورهم بجنسهم المشترك وهدفهم المشترك وتوحيد قيادتهم وتدبير خطتهم ، وتوزيع رجالهم على المعسكرات المالية المختلفة ، وصدورهم كلهم فى جميع أنحاء العالم عن رأى واحد وقلب واحد . ولا شك أنهم لم يكونوا لينالوا ما نالوه ، لو أنهم افترقت قلوبهم وتخاذلت قوامهم وشكوا فى قادتهم . فإذا أراد العرب أن يخنقوا دولتهم ، فلا سبيل إلى ذلك إلا بدوام إذكاء الشعور بوحدة العرب ، وبإيقاظ كل فرد إلى أداء واجبه فى ضرائب الدم وضرائب المال ، وتضحية الصغائر والكماليات ، حتى يتغلب الجسم العربى على سموم هذا السرطان !

وإذا كان الصهيونيون يحاولون أن يسرقوا ويغصبوا ديارنا ، لأنهم يدركون أهميتها وقيمتها المادية والمعنوية لهم ، فأولى بنا ، ونحن وارثوها والمالكون لها ، أن يكون دفاعنا عنها أضعاف هجومهم عليها !

أجل ... أولى بصاحب الدار أن يقاتل أضعاف قتال اللص ، فلا يكون اللص أعرف منه وأكثر تقديراً لممتلكاته وأشد حرصاً على اقتنائها وإذا كان هذا هو المعقول والواجب فى الدفاع عن دار ومتاع خاص ، فإنه أكثر وجوباً فى الدفاع عن الأوطان والمقدسات والحرمات . واليهود يدفعون دماءهم وأموالهم وجهودهم راضين مغتبطين ، لأنهم يشترون بها وطناً وأملا وتاريخاً مزوراً مفقوداً ، منذ ألفى سنة ، فأولى بنا ونحن نملك الوطن والأمل والتاريخ ألا نضيعه ، وإلا كنا غير جديرين به ولا بالحياة . ومعاذ العرب أن يرضوا لأنفسهم وأمجادهم أن تفنى ، ولكرامتهم أن

تهان على هذه الصورة وعلى رؤوس الأشهاد فى أشد قضايا التاريخ ظلماً وبهتاناً !

وإن الجامعة العربية لتهيب بالشعوب العربية وتنادى كل فرد عربى أن يجند نفسه ويثير جميع قوى الكفاح التى ترسب خمائرها فى دمه للدفاع عن مثله العليا وأوطانه وكرامته ، وهو الذى لا ينام على ثأر ولا يرضى بضيم ، فما بالهين على العربى أن يرضى لكرامة شعوبه ودوله السبع أن تداس فى مجتمع الدول لإرضاء طغمة من الإرهابيين أعداء البشر بإقامة دولة ملفقة لهم فى أعز بقاعه عليه ، وفى مهد المسيح الذى عبد قلوب البشر للسلام ، وكانت دعوته وروحانيته وحياته كلها رداً على مثل اليهود وأخلاق اليهود ومادية اليهود ، الذين يريدون أن يقيموا دولتهم على أرض مهده ، بعد أن طاردت روحه منها « رأس الأفعى اليهودية » وشردتها .

وإن ما لدى العرب الآن من قوى معنوية ومادية راهنة ، تتزايد على مر الأيام ، لكفيلة إذا صمم العرب وتيقظوا وعملوا ، أن تحطم هذه الأفعى ، مهما تألبت لنصرتها قوى الشر والظلم .

وإن أصوات شعوب العرب وساستهم ورجال حكوماتهم قد أصبحت كلها تتنادى فى كل قطر بوجوب استئناف الكفاح فى الميادين كلها وتعبئة القوى جميعها . وقد تساوى رأى المتطرفين والمعتدلين فى البلاد العربية فى وجوب أخذ الأمر باليقظة والعمل الدائم والكفاح المستمر ، بعد أن تكشفت الرغوة عن الصريح فى سياسة الأمم المتحدة !

دعونا من حديث الماضى ومسئولياته ، فإنه حديث يبلبلنا ويفرقنا ، ولننظر شعوباً وحكومات إلى الحاضر والمستقبل بروح السخط والاحتقار لروح الغرب وضميره ومنظماته التى سمحت لنفسها أن تمكن للسارق فى دار المسروق ، مما لم يحدث له مثيل فى التاريخ ، ولنتفاءل ونأمل ولا نيأس من روح الله ، ولكن تفاؤلا غير غافل ولا أبله فى هذا الصراع الذى ربما يطول ، ولنحذر حرب الإشاعات الكاذبة التى هى من أسلحة عدونا ، وليكن شعارنا : هو الإيمان بحقنا ، والإصرار عليه ، والعمل على نواله بكل قوانا المادية والمعنوية !

عبد المنعم خلاف

شاعر وعصفور

(فى أحد الأيام استفاق الشاعر من قيلولته ، على صوت عصفور صغير دخل غرفته ، وراح يدف بجناحيه على أرضها وهو يحاول الطيران . فآواه الشاعر عنده أياماً ريثما قويت جناحاه ثم أطلقه . وقد أوحت له هذه الحادثة القطعة التالية) :

أهلاً بعصفور صغير لاجىء ... قذفت إلىَّ به يدُ الأقدارِ
ما ذا أتى بك يا صغير لغرفتى ... أحسبتنى طيراً من الأطيار
هل أمك البلهاء للطيران قد ... ساقتك لكن قبل حين مطار
كم ذا ترفُّ لكى تطير مسارعا ... والهر منتظرٌ بأرض الدار
فاشكر إلهك إذ هداك لساحتى ... فكفاك عطف الوالدين جوارى
وحللت من كنفى بعش آمن ... أسمى وأمنع من ذرا الأشجار
لك من خيالى إذ تطير مرافق ... ومتى صدحت أُجبت بالأشعار
أرفقت لى فأتيت تؤنس وحشتى ... يا ألطف الخلان والزُّوَّار
حسبى وحسبك جو شعر آمنٌ ... فالجوُّ ممتلئٌ من الأخطار
عجباً كلانا طار قبل أوانه ... ونأى الطموحُ بنا عن الأوكار
فبدأت بالأسفار مثلى يافعاً ... وأنا بلغت نهاية الأسفار
فوقاك الله الوحوش أناسياً ... ويقيك ربك كل طير ضارى
مرِّن جناحك فى فنائى طائراً ... ثم انطلق لتطير دون عثار
لا تخش من أسرى ففيه لك البقا ... ما إن ترى حريةً كإسارى

(دمشق) أحمد الصافى النجفى

حب المنطق

(مهداة إلى الصديق الكريم الأستاذ ثروت أباظه)

تعشقتها حسناء يحرس حسنها ... وتحمى جناها حارس من ضميرها
يرفُّ ضياء النُّبل فوق جمالها ... ويأرج عطر الطهر فوق عبيرها
لقد أقبلت تختال فى ثوب عفة ... فيا حسنه ثوباً سما عن حريرها
إذا ضمَّنا صفوُ اللقاء تمثلت ... لعينى ملاكا من سمو شعورها
فأنهل من كأس يضاعف نشوتى ... شمائل ساقيها ولطف مديرها

توفيق عوضه

الصداقة فى رأى ابن المقفع

للشيخ محمد رجب البيومى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

فى رأيى أن تشدد عبد الله فى اختيار رصفائه قد جمله فى جنة وارفة من إخوانه ومحبيه ، فكانوا قرة عينه وبهجة فؤاده ، يهيم بأحاديثهم ويهيم بأخبارهم ، ولم يؤثر عنه أنه ارتاب يوماً من الأيام فى أحدهم فظن به الظنون ، وهذه مزية التحفظ الشديد ، ونحن نسمع فى كل مكان من يندبون الوفاء ، ويبكون النبل فى الحياة ، زاعمين أن الصداقة سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، فكل قرين يشكو من قرينه فى الكثير الأغلب ، وسبب هذه الضجة المفتعلة ، أننا لم نفهم الفرق الواضح بين الصداقة والصحبة ، فإذا صاحب إنسان زميلا وقدم إليه بعض المعونة الأخوية ، ثم وجد منه نفوراً لا يتفق وما أسلف إليه من نفع ، قام يندد بضياع المروءة والوفاء وأولى به أن يندد بنفسه ، إذ لم يختر من يجزيه الإحسان بالإحسان ، بل عمد إلى طينة سنجة ، فغرس فيها بره ثم تعهده بالرى فمات الزرع ، وجف الماء ، ولو أنه غرس معروفه فى تربة مختارة منتقاة ، لآتت أكلها ولم تنقص منه شيئاً ، ولأبصر نفسه — كابن المقفع — فى جنة مورقة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، ولكن فاته ذلك فى حينه فهب من فوره يبكى المروءة ويندب الوفاء !! . . لا يا هؤلاء . . .

ونحن نعلم أن الأديب أو الفيلسوف أو كل ذى موهبة فنية ، فى حاجة ماسة إلى من يجاذبه أطراف الحديث ، ويخوض معه فى شتى الأبحاث ، ولقد تألقت فى عصر ابن المقفع كواكب لامعة فى سماء الأدب ، وكانت صلته بها صلة مودة وحب ، فهو صديق الجميع يؤثرهم ويؤثرونه ، وأنت تعجب كل العجب حين تراه يجمع بين صداقة المتناصرين والمتباغضين ، فهو صديق حماد وبشار ووالبة وإبان ومطيع ، ولا ريب أن عبد الله كان يلاقى كثيراً من الإرهاق والعنف فى التوفيق بين أمزجة متباينة ، ونفوس متصاولة ، وكنت أسأل نفسى مراراً ألا يكون الجمع بين صداقة الأضداد مما يحدث لديهم الريبة فى نفس عبد الله ؟ وهل يطيب لبشار مثلا أن يبوح بسره لصاحبه وهو يعلم أنه صديق حماد ؟ سؤال دقيق يتطلب إجابة دقيقة ، وكأنى بابن المقفع وقد أدركه تمام الإدراك ، فأجاب عنه فى ملاطفة هادئة حيث قال « وإذا رأيت صديقك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك ، فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك لشر يكفه عنك أو لعورة يسترها منك ، أو غائبة يطلع عليها لك ، فأما صديقك فما أغناه أن يحضره ذو ثقتك » وهذا كلام مقبول من بعض نواحيه ، وإن كنا لا نميل إلى الأخذ به ، لأن كل خصيم من بنى الإنسان يسلق خصيمه فى غيبته وحضوره بلسان حاد ، وخاصة إذا كان من طراز حماد وبشار ، فلو أن ابن المقفع تصدى دائماً للدفاع عن أصحابه لثقل كثيراً على أعدائهم وما استطابوا ذلك منه فى كثير أو قليل ، وما كان أغناه عن هذا المأزق الحرج ! على أنه — فى الواقع — لم يثبت على رأيه الأول فقد اتضح له تطرفه الزائد فأتى بما يناقضه حين قال فى موضع آخر « إن من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعدو صديقه عدواً ، وليس لى بصاحب ولا صديق من لا يكون لصديقى محباً وإنه يهون على قطيعة من كان كذلك » وإذن فقد اتفق معنا الكاتب ، وتحلل من رأيه الأول ، بعد أن خطأه الواقع المرير .

ولقد كانت المجالس الأدبية — كما هى الآن — لا تخلو من نقاش حاد يتطاحن فيه الأصدقاء ، وكل يؤيد رأيه بما يسمعه خاطره ويرتاح إليه ضميره ، ولكن من الناس من لا يراعى حرمة الحديث ولا يصون كرامة الصديق فيندفع فى تنقصه اندفاعاً يخرج به عن حدود اللياقة والذوق ، وكان عبد الله يضيق بهذا الطراز من الأصدقاء منتهى الضيق ، ولقد كتب الفصول الممتعة فى أدب الحوار وطريقة الحديث ، فكان مرشداً حكيماً لأصدقائه ومريديه . اسمعه يقول فى نصح وتوجيه « لا تلتمس غلبة صديقك والظفر عليه فى كل رأى ، ولا تجترئن على تقريعه بظفرك إذا استبان ، وحجتك عليه إذا وضحت ، فإن إخواناً قد يحملهم حب الغلبة وسفه الرأى فى ذلك على أن يتعقبوا الكلمة بعد ما تنسى ، فيلتمسوا فيها الحجة ثم يستطيلوا بها على الأصحاب ، وذلك ضعف فى العقل ولؤم فى الأخلاق » والناس هم الناس فى

كل زمان فما يشكو منه ابن المقفع أشكو منه الآن ، بل ربما وجد في زماننا من يفوق من تقدمه ، في مضمار التوقح والسفه ، فيختلق الرأى الدنيء اختلاقاً ، ثم ينسبه إلى غيره منددا مشهراً ، وهناك قوم من المتناظرين لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ، فمتى يعتصم هؤلاء بحبل من الخلق القويم ؟ !

ويلوح لي أن الكاتب كان ملتهب الصدر من هذه الناحية — وحق له أن يلتهب — فلم يكتف بما سطره في الأدب الكبير والأدب الصغير مما فيه العبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، بل عقد في « كليلة ودمنة » فصلا مسهباً يدور حول هذا الموضوع ، وقد جعل فيه اللسان أساس المصائب ، ومفتاح النوائب ، فهو يقذف بالكلمة الواحدة صغيرة ضئيلة فتبدد الشمل ، وتفرق الجمع ، وتوقد نار الحرب ، وأمام القارىء باب « البوم والغربان » وفحواه أن معركة حامية قامت بين الفريقين بسبب غراب طائش تكلم في حق البوم بما لا يليق ، وبعد أن فصل الكاتب قصته تفصيلاً منطقياً يستشرف إلى النتيجة الحاسمة ، عمد إلى هدفه الأصيل ، فقال على لسان بوم يتوعد الغراب الأحمق ، ويهدده بعاقبة لسانه ، وما جره على قومه من كوارث فادحة يتفجر لها براكين العذاب .

قال الكاتب الحكيم « اعلم أن السيف يقطع به الشجر فيعود فينبت ، والسيف يقطع اللحم ثم يعود فيندمل ، واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه ، والنصل من السهم يغيب في اللحم ثم ينزع فيخرج ، والنصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تنزع ولم تستخرج ، ولكل حريق مطفىء ، فللنار الماء ، وللسم الدواء ، وللحزن الصبر ، ونار الحقد لا تخبو أبداً . وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر العداوة والبغضاء »

وأنت لو فتشت في كتب التربية والأخلاق ما وجدت توجيهاً أفضل من هذا التوجيه . وليت شعري من يبلغ مبلغ ابن المقفع ؟ وقد رسم القاعدة أولا ثم ثنى بالدليل المسكت ، وعقب أخيراً بالمثال الحكيم .

بقيت مسألة دقيقة تجول في خاطر كل صديق ، وهي تحديد العلاقة بين الصداقة والمنفعة ، ونحن نرى كثيراً من الكاتبين يلقون القول على عواهنه فيحكمون أن الصداقة تتعارض مع المنفعة تعارضاً تاماً ، وأن الذي يصادق ليقطف ثمرة ، أو يحصد ذرعاً فهو نفعي وصولي ، مع أن هناك ناحية لا يجب أن يغفل عنها غافل ، وهي أن المنفعة والصداقة صنوان متلازمان لا يفترقان ، وأن الخلاف لا ينبغي أن يتجه إلى المفاضلة بينهما كعضوين منفصلين ، إذ ما من صديق إلا وينتفع به صديقه إن مادياً وإن أدبياً ؛ فهو على الأقل يرفه عنه همومه ، ويتحمل جانباً من سره ، ويزيل ما بنفسه من كبت داخلي قتال ، وكل أولئك منافع غالية لا تقدر بمال أو عتاد ، ولكن ينبغي أن يتجه الخلاف إلى ناحية أخرى تأتي بعد التسليم بحدوث المنفعة من الصداقة ؛ ولعلها تنحصر في السؤال الآتي : هل تكون الصداقة وليدة المنفعة ؟ أو تكون المنفعة وليدة الصداقة ؟ ! فإذا كانت الصداقة وليدة المنفعة فهي الصداقة الوصولية المادية التي يحتقرها المثاليون ، ويزدريها الأخلاقيون ، والتي ندد بها ابن المقفع أشد تنديد في مواضع عدة من كتاباته . وقال عن أصحابها في تبرم واضح « ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فإنما مثله فيما يبذل ويعطي كمثل الصياد وإلقائه الحب للطير ، لا يريد بذلك نفع الطير ، وإنما يريد بذلك نفع نفسه ؛ فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد » .

أما إذا كانت المنفعة وليدة الصداقة فهي بلا ريب مودة مثالية فاضلة ينشدها عشاق الفضيلة وأرباب المروءة ، إذ أن الإنسان مهما عظم جبروته وطغى سلطانه ، في حاجة قوية ، إلى من يطلع على خبيئة سره ، ويستكشف ذات صدره ، فيشاركه الرأي ويقاسمه التفكير ، وهذه هي الصداقة بمعناها الصحيح ، وقد حبذها ابن المقفع بكل قواه ، وله فيها حكم بينة ، كأن يقول « اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا ، هم زينة في الرخاء ، وعدة في الشدة ، ومعونة على خير المعاش والمعاد ، فإذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية ، فاعلم أنك قد ابتليت معه إما بالمؤاساة فتشاركه في البلية ، وإما بالخذلان فتحتمل العار ، وأن أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لا يزال ربعه من إخوانه وأصدقائه من الصالحين معموراً ، ولا يزال عنده منهم جماعة يسرهم ويسرونه ويكون من وراء حاجاتهم وأمورهم بالمرصاد ، فإن الكريم إذا عثر لا يأخذ بيده إلا الكرام ، كالفيل إذا وحل لا تخرجه إلا الفيلة » .

وباب الحمامة المطوقة فى كتاب « كليلة ودمنة » يدور حول المنفعة المتولدة من الصداقة ، بل أن ابن المقفع جعل مزية الصداقة الوحيدة هى ما يعقبها من معونة الأصدقاء ، ومساعدة الإخوان ، فالحمامة لم تنج من الشرك إلا بفضل صديقها الفأر ، والظبى لم يفلت من الصياد إلا بمعونة صديقه الغراب ، والسلحفاة لم تتمتع بالحياة إلا بمساعدة الجرذ ، وهكذا يضرب الحكيم النابغة أمثاله للناس « وما يعقلها إلا العالمون » .

وإذا كان الرجل قد أجاد فى الحديث عن الصداقة إجادة محمودة ، فإنه أبدع فى الكلام عن العداوة إبداعاً يستدعى الانتباه ، ويقينى أنه لم يلح فى إكبار الصداقة إلا بعد أن حيكت له الدسائس ، وذاق من الأعداء صنوفاً أليمة من الكيد والختل ، وليس بغريب على نابغة كابن المقفع أن يكثر حساده ومبغضوه ، وهل يحسد من الناس غير المبجل فى عشيرته ، المعظم فى دولته ؟ وهل يتعرض الشانئون لغير من يبزهم فى المنزلة ، ويرتفع عنهم فى المكانة ، ألم يطعنوا على الرجل فى دينه وخلقه وتقواه !! نحن مظلمة غشيت النابغة العظيم كقطع الليل فملته كيف يجيد الحديث عن الوشاة والأعداء ، بل إن أعظم فصل فى كليلة ودمنة وهو باب الأسد والثور يدور حول الأفاكين من الوشاة ، وكيف يبذرون بذور الشقاق بين الأحبة والأصفياء ، وقد اصطبغ فيه حديث الكاتب بصبغة شاحبة مشجية حتى لتتصور كلماته أنيناً يتردد فى قنوط وحرمان ! !

وقد يبدو لمن يطالع ابن المقفع فى باب العداوة والكيد أنه عفو صفوح يتبع السيئة الحسنة ، لأن له من العبارات ما ينطق بالتسامح والحنو كأن يقول « ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولعدوك عدلك وإنصافك ، وللعامة بشرك وتحننك » ولكن من يتعقبه تعقباً جدياً يدرك مقدار يقظته وانتباهه ، وما أحب أن أحلل أقواله تحليلا يتشعب معه القول فى لجاج شاسعة بل أنقل إلى القارىء بعض ما أثر عنه فى مؤاخذة الأعداء ، قال ابن المقفع

١ — إن كنت مكافئاً بالعداوة والضر فإياك أن تكافىء عداوة السر بعداوة العلانية ، وعداوة الخاصة بعداوة العامة ؛ فإن ذلك هو الظلم . ومن الحيلة فى أمرك مع عدوك أن تصادق أصدقاءه ، وتؤاخى إخوانه ، فتدخل بينه وبينهم فى سبيل الشقاق والتلاحى حتى ينتهى ذلك بهم إلى القطيعة والعداوة له .

٢ — قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك ، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترىء عليك ، ويضعف جندك وتذل نفسك ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة فى الشمس إذا أملتها قليلا زاد ظلها ، وإذا جاوزت بها الحد فى إمالتها نقص الظل .

٣ — الحازم لا يأمن عدوه على كل حال فإن كان بعيداً لم يأمن سطوته ، وإن كان مكثباً لم يأمن وثبته ، وإن كان وحيداً لم يأمن مكره ... وإن صرعة اللين والرفق أسرع وأشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة ، فإن النار لا تزيد بحدتها وحرارتها إذا أصابت الشجرة أن تحرق ما فوقها ، والماء ببرده ولينه يستأصل ما تحت الأرض منها .

وقد يوجد من يؤاخذ ابن المقفع على اختراع هذه الأسلحة الفتاكة فى حرب العدو ، وربما ظن الظنون بنابه الأزرق ، وشك فى دخيلة نفسه ونحن لا نتردد فى تبرئة الكاتب مما قد يعلق ببعض الأذهان حيث لا نرى جناحاً فى الكيد لمن يسوء ، بل أن على الرجل الذى يحترم رجولته أن يضرب أعداءه ضربة قاصمة حتى لا يسمح للعقارب المؤذية أن تنفث سمومها فى الظلام !

لقد اجتهد عبد الله فى تحديد قوانين الصداقة والسمو بها إلى أفق ملائكى تهب فيه النسمات العاطرة ، ولكنه اصطدم بغرائز دنيئة تدعو إلى الهبوط فى وهدات مظلمة منتنة ، فلم يجد بداً من محاربتها محاربة صارمة حتى يهيىء لمثله العليا أن ترفرف فى جوها الرفيع ، ولقد مات الكاتب وترك من أقواله فى الصداقة ظلا وارفاً يفىء إليه المخلصون ، فيأكلون من ثمره الحلو ، ويستنشقون نسيمه المنعش فى لذة وارتياح .

حسب ابن المقفع وفاء أن تتقطع أحشاؤه شوقاً إلى أصدقائه ، وأن يأرق فى حنادس الظلام ليسائل البرق الخاطف عن أصفيائه الأعزة ، ثم يعمد إلى قلمه الرشيق فتسجل عواطفه الجياشة الموارة ، فى سطور عبقة يتضوع أريجها مدى الأحقاب المتتاليات !

أى نابغة الفرس المعظم ، لقد دعوت إلى مكارم الأخلاق فى دنيا وضيعة دنيئة ، وناديت بالوفاء فى معشر جبلوا على الخيانة والغدر ، فهنيئاً لك كفاحك البر فى حومة الشرف ، وجهادك الشاق فى ساحة النبل والوفاء .

فقل للذى يبغى مداه منافساً طمعت لعمر الله فى غير مطمع

(جزيرة الروضة) **محمد رجب البيومي**

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

على هامش اليونسكو :

لقد بذل لبنان منتهى النشاط فى الإعداد لمؤتمر اليونسكو ، وأنفق كثيراً فى الأوجه المختلفة المتعلقة به من تشييد وتأثيث وضيافة وغير ذلك . ودعت مصر أعضاء المجلس التنفيذى لليونسكو إلى عقد دورة فيها عقب انتهاء مؤتمر بيروت العام ، فلبوا الدعوة وسيتزلون ضيوفاً على الحكومة المصرية من يوم ١٢ إلى ٢٦ ديسمبر الحالى ، ويزورون فى خلال ذلك المتاحف والآثار ، والدور العلمية ، وتقام لهم بعض الحفلات ، ويشاهدون التمثيل فى الأبرا .

ولا شك أننا — لبنان ومصر — نقصد إلى الدعاية لبلادنا ، ونسير فى وسائلنا لذلك على ما عرفنا به من الكرم والسماحة ، ولا علينا أن الدول الغربية عند ما تدعو إلى عقد المؤتمرات العالمية لا تبذل لها ما نبذل بل لعلها ترى إلى الاستفادة الاقتصادية من وجود أكبر عدد ممكن من مندوبى الدول فيها ، فنحن أحفاد حاتم الطائى ، ونحن أبناء الشرق الروحيون ...

ولكن عند ما يشاهد أولئك المندوبون الضيوف الكرام منشآتنا وبناياتنا الفخمة الضخمة ، من تليد وعتيد ، ويرون الأنوار الساطعة فى ميادين عواصمنا — لا ينبغى أن نغتر بظاهر ثنائهم ، فإن لهم عيوناً نافذة تلمح ما وراء هذه المظاهر من الحياة العادية للشعب ، وهى حياة شاسعة تشغل تلك المظاهر جزءاً صغيراً جداً منها ... فبناء الجامعة — مثلا — بالغ الروعة ، وبها عدد من الأساتذة الأعلام لا يقلون فى مستواهم العلمى والفكرى عن أمثالهم فى أرقى الأمم ، ولكن هذه قمة الهرم والباقى سفح لا يشرف ما بعمن نسب الأمية والجهالة ، ومسرح الأبرا يتيه فى القطر وأرستقراطى ، والأنوار الساطعة لا تعشى البصر عن رؤية الأكواخ ومساكن الفقراء ... الخ

وأنا أريد أن أفرض أن ضيوفنا سينخدعون بما نغرقهم فيه من ضباب الحفاوة والمظاهر ، وما أحب إلينا ذلك ، ولكن أخشى أن ننخدع نحن بصنعنا ... فنظل على ما نقوم بتمثيله ونحن فى أشد الحاجة إلى أن نعيش أكثر الوقت فى واقعنا ، نواجهه ونرفهه حتى نصل إلى الحد الذى نستمد فيه تمثيلنا من واقع الحياة .

التعليم المصرى فى السودان :

وهذه مسألة من صميم اختصاص منظمة اليونسكو ، فليت وفد مصر يثيرها فى المؤتمر ، أليس من مبادئ اليونسكو نشر التعليم فى أرجاء العالم ؟ فلتقل للانجليز لم يقفون فى وجه انتشار التعليم فى السودان ويموقون الجهود المصرية فى هذا السبيل ؟

فقد تضمن خطاب العرش فى افتتاح الدورة البرلمانية الحاضرة أن الحكومة المصرية تعمل على إنشاء مدرسة ثانوية فى الأبيض ومدرستين ابتدائيتين إحداهما فى كسلا والأخرى فى بور سودان ومدرستين أوليتين إحداهما فى واو والثانية فى بور . فبليل ذلك الخاطر الإنجليزى فى السودان ، لأنهم يعطون التعليم للسودانيين بقدر وعلى النحو الذى يريدونه ، من حيث تهيئته تهيئة آلية ، وتشبيعه بالروح الموالية لهم ، أما المدارس المصرية فهى الخطر كله ، وأقل ما فيها أنها تجمع أبناء الوادى على ثقافة واحدة ، وهى تشعر السودانيين بأن للحكومة السودانية الإنجليزية شريكا فى النفوذ هناك ، وحكام السودان من الإنجليز يحرصون على أن يقروا فى أذهان إخواننا بالجنوب أنهم — أى الإنجليز — كل شيء هناك ، وليس لمصر معهم حول ولا طول .

فما كان من الخاطر الإنجليزى المبلبل فى السودان إلا أن أفضى لسانه فى مؤتمر صحفى بالخرطوم — على الطريقة الإنجليزية الرقطاء — أن حكومة السودان تشكر مصر على شعورها نحو التعليم فى السودان إلا أنها ترى أن تتعاون وزارة المعارف المصرية مع مصلحة المعارف السودانية على إنشاء هذه المدارس المقترحة والإشراف عليها بدلا من أن تكون تابعة رأساً لتلك الوزارة ، لأنه ليس من مصلحة البلاد إقامة نظامين للتعليم فيها لكل منهما برنامجه الخاص .

ومعنى ذلك أن إدارة المدارس المقترحة تكون « ثنائية » ومعنى الثنائية فى العرف الإنجليزى بالسودان أن ينفرد الإنجليز بكل شيء

هناك دون مصر ، طبقاً لخرافة « الحكم الثنائي » المشهورة ..

ثم كيف كان من مصلحة البلاد إقامة نظامين للتعليم يوم أنشئت مدرسة الملك فاروق في الخرطوم ومدرستان أوليتان في جبل الأولياء وملكال ، ثم أصبح ذلك الآن مخالفاً لمصلحة البلاد ؟ أكان من المصلحة لأنه وقع في سنة ١٩٤٣ في خلال الحرب يوم كان « الحلفاء » يخطبون الود ويبذلون الوعود ويستجدون الثقة والمونة ، ثم صار الآن من غير المصلحة ... ؟ على أن النظامين قائمان ، حتى قبل إنشاء المدارس الحكومية المصرية ، فهناك منذ زمن مدارس أهلية برنامجها مصري ، ويقبل أبناء السودان على هذه وتلك على رغم العقبات التي تضعها الحكومة السودانية في سبيلهم ، والتي منها عدم الاعتراف بالشهادات المصرية في التعيين بالوظائف ، والالتحاق بالمدارس العالية التابعة لحكومة السودان ، وغير ذلك .

وبعد فإذا كان الهدف الأول لليونسكو القضاء على أسباب الحروب في عقل الإنسان ، فهذه هي عقول الإنجليز في السودان .

الصهيوني والفرقة المصرية :

« الصهيوني » مسرحية ألفها ، وأخرجها ، وقام بدور البطل فيها ، الأستاذ يوسف وهبي بك ؛ ومثلت في هذا الأسبوع على مسرح الأوبرا الملكية . وهو يقدم لنا فيها شاباً ماجناً خليعاً مدللا متعطلا على الرغم من أنه درس الهندسة الميكانيكية ونال فيها أعلى الشهادات ، وهو ابن (باشا) عسكري قديم : يسخط عليه أبوه لأنه ولد (خسران) وفجأة يهبط على المنزل بطائرة ويعلن أنه أصبح ضابطاً في سلاح الطيران بالجيش المصري تلبية لنداء الواجب في حرب الصهيونيين بفلسطين ، وفي هذا الموقف نرى البطل الطيار (يوسف وهبي) يقلب الجو الذي كان ينبغي أن يكون رائعاً ، إلى مهزلة . . يسخر فيها من أبيه «الرجل العسكري» ويتندر عليه . وتسود هذه الروح وهي تكلف الظرف والفكاهة في غير موضعها — أكثر مواقف الرواية ، ومن ذلك ما يحدث عند ما يفاجئ الأسرة شاب يدعى أنه « سامي » ابن الباشا من زوجته الأجنبية التي خرجت به من مصر صغيراً ، وأنه لما علم بأن مصر تحارب في فلسطين أسرع إليها ليؤدي واجبه ، ويظهر فيما بعد أنه جاسوس صهيوني ، وهو المقصود بعنوان الرواية ، يدخل هذا الشاب على أسرة الباشا فيستقبلونه ويدهشون للسانه المصري فيقول لهم : إنه كان يدرس اللغة العربية في كلية اللغات الشرقية بألمانيا ، وينطق بعبارات فصيحة ، فيقول له « عزت » المهندس الضابط

---

* وافق مجلس كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول على دعوة الدكتور طه حسين بك ليكون أستاذاً زائراً بها ، وقد قابل أحد أساتذة الكلية الدكتور طه وفاتحه في هذا الأمر ، فأبدى الدكتور عدم رغبته في العودة إلى الجامعة وأنه سيرفض تلك الدعوة .

* قدم إلى مصر في الأسبوع الماضي معالي الأستاذ الشاعر العراقي الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي — لحضور مؤتمر مجمع فؤاد للغة العربية ، وهو أول مؤتمر يحضره بعد انتخابه عضواً في المجمع ، وسيستقبله في جلسة الافتتاح الأستاذ العقاد بكلمة ترحيب وتعريف .

* اعترض مندوب لبنان في مؤتمر اليونسكو على عدم اعتماد اللغة العربية في عداد اللغات الرسمية للمؤتمر مع أنها لغة خمس دول مشتركة في اليونسكو ، وأيده مندوبا مصر والمملكة السعودية ، ودارت مناقشة انتهت بإحالة الموضوع إلى إحدى اللجان لدراسته . وفي نفس الجلسة تقرر اتخاذ الإسبانية لغة رسمية .

* كان المجمع العلمي العربي في دمشق طلب إلى معهد المخطوطات بالجامعة العربية تصوير كتاب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر توطئة لنشره . ويعمل المعهد الآن في تصوير الكتاب الذي يقع في سبعة آلاف صفحة ، وقد أوشك أن ينتهي منه .

* تتوالى لجنة الأدب بالمجمع اللغوي النظر في الانتاج الأدبي المقدم لمسابقة سنة ١٩٤٨ — ٤٩ وتنتهي من عملها في أواخر فبراير القادم وتعلن النتيجة في مارس وقد تقدم في البحوث أربعة وفي القصة ثلاثة عشر وفي الشعر أحد عشر

* كان قد اختير المراقب العام للإذاعة في الخبراء الملحقين بوفد مصر في مؤتمر اليونسكو ، وقالت مجلة الإذاعة إن حضرته سيوافي الإذاعة بأنباء المؤتمر ، وإلى الآن لم يسمع من الإذاعة شيء من أنباء المؤتمر لا من مندوبها ولا نقلا عن الصحف كدأبها في نشرة الأخبار .

* لوحظ أن الأغنية الجديدة التي ألفها رامي وغنتها أم كلثوم تكونت من عدد كبير من ألفاظ البكاء والأنين والدموع والشجن ...

الطيار : (دابيكلم نحوى كان ... دا ينفع فق !) وهذا كلام ليس بائخاً فحسب بل هو من فكاهات الطبقة العامية البحتة ...

هذا وقد أجاد فؤاد شفيق الذى مثل دور الباشا ، فى دعابته ، وهو ممثل مطبوع على الظرف بإلقائه وحركاته وتعبير ملامحه .

وأجادت أمينة رزق فى تمثيل « منى » بنت أخى الباشا ، أجادت فى القيام بدور الفتاة الكريمة ذات الإحساس النبيل ، التى تتألم إزاء إعراض « عزت » عنها ، ووالداه يلحان فى زواجه منها .

وقد رفعت المسرحية فى دورها عن مستواها المسف ... وكذلك فعلت سامية رشدى التى مثلت الزوجة التركية الطيبة ، والأم التى تكاد تهلك أسى على مصير ولدها .

وقد توالت فى أواخر الرواية المفاجآت وازدحمت المصادفات مما كاد يخرجها عن مألوف الواقع فى الحياة ، فقد كشف أمر الجاسوس الصهيونى بعدة مصارفات محكمة ، كأن الأقدار تشترك فى تأليف الرواية . . . وقد أفرغ يوسف وهبي المؤلف طاقته الصاخبة فى التأليف ، حتى لم يبق له منها شيء فى التمثيل ... فقد مثل « عزت » فصغر حتى صار شاباً فى الخامسة والثلاثين ، صغر (بالمكياج) ولكنه ظل جامد الحركة ، تتعاقب عليه الأحداث وهو هو لا تغيير ولا تعبير . ويوسف وهبي إنما يعبر بالحنجرة والصوت الجهير والتلويح باليد وما شابه ذلك ، وهو ينجح فى هذا اللون من التمثيل حتى يبلغ القمة ، ولكن دوره فى هذه الرواية لم يكن كذلك .

والمسرحية ترمى إلى الإشادة بالوطنية المصرية ، ولكن الموضوع شيء ، وطريقة معالجته وأدائه ونصيب ذلك من الفن الراقى شيء آخر . فالرواية تشبه (الاسكتشات) التى تقدمها الفرق الاستعراضية ، وما أشك فى أن « شكوكو » كان أليق من يوسف وهبي بدور « عزت » .

ومما يؤسف له أن الفرقة المصرية بعد أن بدأت موسمها بمسرحية « سر الحاكم بأمر الله » وكان يرجى أن تسير فى هذا المستوى ، وقد ألف لها محمود تيمور وتوفيق الحكيم مسرحيتين جديدتين لم تظهرا بعد . أقول مما يؤسف له أنها أخذت بعد ذلك فى برنامج لا يبشر بنجاح الموسم النجاح المرجو لفن المسرح فى مصر بعد أن انحصر فى الفرقة التى ترعاها الحكومة . وقد أعلن أن الفرقة ستمثل بعد « الصهيونى » روايات أخرى قديمة ليوسف وهبي ، وقد تكون هذه الروايات نجحت فى وقتها . ولكن هل تصلح الآن للنهضة المرجوة ، وهى تحتاج إلى التجديد ، وإلى الفن الراقى ؟

لا أقول إن يوسف وهبي يستند إلى رعاية الدولة وإعانتها للفرقة المصرية ، فيعمد إلى إظهار نفسه كل شيء فى كل شيء ... فى التأليف ، وفى الإخراج ، وفى التمثيل ، وفى النقد بالحكم على براعته فى الإعلانات التى يصدرها باعتباره مديراً عاماً للفرقة ، وهذا (أنه مدير عام) الطرف الخامس للأطراف التى يريد أن يجمع المجد منها كلها — لا أقول ذلك إلا خوفاً على الفرقة المصرية أن تعصف بها هذه الجهود المترامية ونحن فى عصر الاختصاص ، فليكبح يوسف وهبي جماح عبقريته الشاملة ويترك التأليف على الأقل ويفسح للآخرين من أهله أن يساهموا فى خدمة المسرح وتغذيته ورفعته .

الحادثة الهامة :

قرأت الكلمة التى كتبها الأستاذ أحمد عزيز بيتوغن بعنوان « أوهام لغوية » ونسب إلىّ وهماً منها فى بعض ما كتبت ، وهو « والحادثة الهامة فى القصة أو العقدة فيها ، ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية » قال : « واستعمال كلمة هامة فى هذا المكان للدلالة على أهمية الحادثة وهم لغوى ! وكان الصواب أن يقول الحادثة المهمة ، ففى قاموس الصحاح للجوهرى ما يلى : المهم : الأمر الشديد ، وأهمك من الأمر : ما أقلقك وأحزنك » .

وفى هذا الكلام وهمان لغويان ، أتاه الأول من وقوفه عند « الصحاح » فاعتمد « أهمه » وأنكر « همه » ، ولو أنه فتح معجما آخر لوجد أنهما موجودان بمعنى واحد ، ففى القاموس المحيط « همه الأمر هماً ومهمة حزنه كأهمه » . وفى المصباح المنير « أهمنى الأمر بالألف أقلقنى وهمنى هماً من باب قتل مثله » فالهامة من همّ والمهمة من أهم ، واستعمال كل منهما كاستعمال الأخرى ، ويبدو لى أن استعمال أيهما فى الدلالة على الأهمية آت من حيث أن الأمر المقلق يدعو إلى الاهتمام .

الوهم الثانى فى قوله : « قاموس الصحاح للجوهرى » لأن القاموس علم على كتاب الفيروزابادى مأخوذ من القاموس بمعنى البحر ، وليس كل معجم قاموساً كما وهم حضرته .

ويظهر أن السيد بيتوغن يريد أن يكون معقباً لغوياً ، فأنصحه بالحذر من « الأوهام » وأتمنى له أطيب التمنيات .

عباس خضر



اتعـــاظ الحنفا

بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا (1)

تأليف الدكتور جمال الدين الشيال

إن الذين يحملون العلم إلى الناس بالتأليف أو النشر أو الترجمة أو بالمجلات ، إنما يحملون إليهم من نور الله ليستضيئوا به وليزدادوا نوراً . وحملة العلم سـواء كان أدباً أو علوماً طبية ، أو غيرها ، وسواء كان أصحاب مجلات يتخذونهـا ندوة للفكر وأصحابه إنما يفترضون على أنفسهم رياضة علمية طويلة شاقة قبل أن يبلغوا مرتبة العلماء . وفي هذه الرياضة العلمية يشـترط الإخلاص الذي هو جماع الفضائل وطريق الراغب السالك طريق العلم . وكم من مشتغل بالعلم يمضي ويطويه الزمان المشئوم في غير رحمة بجهوده الطويلة وآماله العريضـة ؛ فإذا أنزل الله نوره على عبده فتح له من أبواب العلم ونشره ما يرفع له ذكراً .

ومن الذين فتح الله عليهم وهـداهم في التاريخ إلى جوانب طريفة فجعلهم مرجعاً للأجيال التي تليهم والتي تليهم المؤرخ المصري تقي الدين المقريزي صاحب كتاب اتعاظ الحنفا الذي الذي نشره الدكتور جمال الدين الشـيال . فقد امتاز المقريزي بنظرات طريفة وملـكات مواتية ، وجلد على العمل وتوفيق رباني عجيب قبل ألف . وترك من بعده أخباراً تاريخية طويلة تقع في مجلدات عديدة ضخمة ، بعضها معروف منشور وبعضها مخطوط ينتظر النشر . وقد عنى بنشر كتب المقريزي جماعة كبيرة أجلة من المؤرخين منهم الأستاذ فيت مدير دار الآثار العربية الملـكية المصرية الآن ، ومنهم الدكتور زيادة أسـتاذ التاريخ المصري بجامعة فؤاد ، ومنهم ناشر كتاب اتعاظ الحنفا الدكتور الشيال ، الذي نتحدث عنه اليوم .

وليس هذا أول كتاب ينشره الدكتور الشـيال للمقريزي ، فقد نشر له من قبل كتابين قيمين ، الأول كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأزمات الاقتصادية ، وهو على حجمه جليل القدر عظيم النفع ، والثاني : نحل عبر النحل . وهو كتاب قيم بثروته اللغوية الضخمة ، كنا نود لو لم يهاجر الدكتور أبو شادي إلى أمريكا حتى يعرف الجمهور ويعرف أمثالنا ممن لا يعرفون عن النحل إلا القليل قيمة هذا الـكتاب . أما من الناحية التاريخية ، فذلك الـكتاب يحوي أخباراً تاريخية قليلة . ثم هـذا الـكتاب الثالث الذي نعرض له اليوم ، وهو كتاب اتعاظ الحنفا .. في تاريخ الدولة الفاطمية ..

وللنشر أصول صارمة تجعل مجرد النسخ مهمة دقيقة مضنية . فإذا انتهى النسخ عن المخطوطات المختلفة ابتدأت مهمة جديدة هي إقامة النص وإصـلاح خلله . فإن كثرة نسخ الـكتاب تدخل عليه كثيراً من الأخطاء . ومن الناشرين من يلتزم بعد ذلك توضيح النص بالهوامش .

ولـكن مهمة الدكتور الشيال تعقدت لأن المخطوط في برلين ولا سبيل إليه ، فرجع إلى نشرة الـكتاب القديمة . وكانت مليئة بالأخطاء فأصـلح ذلك كله بمقارنة النص المنشور بالنصوص التاريخية الأخرى ، ثم إنه التزم التعليق حتى تضخمت الهوامش وبلغت حداً كبيراً . وقد كان ربع هذا كافياً . ومن الخطأ أن يتصور الناشر نفسه شارحاً ، فمجال الشرح طويل لا يحتمله النشر . ودليل ذلك أن الدكتور الشيال لم يشرح نقطاً كثيرة تجل عن الحصر كما شرح أشياء كثيرة فوق الحصر . فأنت تتحير حين تقرأ النص بين هوامشه الـكثيرة ، وقد تهمل هذه الشروح لـكثرتها . فإذا صبرت فقرأت كل ذلك وجدت شيئاً غير مشروح إلى جانب شيء مشروح . ولعل أنفع شيء للناشر والـكتاب والجمهور جميعاً أن توضع كافة الشروح والتعليقات في مقدمة بأول الـكتاب ، فيستطيع المستعجل أن يكتفي بهـا ويستطيع غيره أن يهتدي بها في قراءته للـكتاب . وقد جرى على ذلك المنهج كثير من الناشرين حتى أصبح لزاماً علينا أتباع

(1) هو الجزء الثاني من مكتبة المقريزي الصغيرة ، نشره الدكتور الشيال وطبعته دار الفكر العربي سنة ١٩٤٨ .

منهجهم إلا إلى منهج أحسن .

وقد كنا نحب أن ينبه الدكتور الشيال قراءه وقراء المقريزي إلى أن هذا الكتاب لا يعد من أئمة كتبه ، وأن صبر المقريزي على جمع الأخبار خانه هذه المرة ، وأن جزءاً هاماً جداً من الكتاب قد ضاع حتى ليعد الجزء الباقي منه شيئاً يسيراً إلى جانب الضائع . وقد ذكر الدكتور الشيال هذا الفقد ، ولم يعلق عليه ؛ وقد نلتمس له أعذاراً كثيرة منها أنك إن ألححت فى ذلك زهدت القراء أولا وعدمت الناشر الطابع ؛ وفى ذلك كارثة محققة تصيب العلم قبل أن تصيب العلماء . والناس أحوج إلى من يشجعهم ويشوقهم إلى تراثنا العلمي القديم .

ومن حق الناس مع ذلك أن يعلموا أن الكتاب قد يكون مسودات جمعها المقريزي وفى نيته أن يرجع إليها ثم لم يأذن له وقته بذلك . وإن كان من حقهم أن يعلموا أيضاً أن ذلك فرض أرجحه أنا ، وقد لا يرى الأستاذ الشيال ذلك ، وقد يضع هذا الكتاب فى مصاف كتبه الأخرى . وقد كان عليه أن يعرفنا بقيمة الكتاب لعله يلفت نظرنا إلى ما لم نلتفت إليه .

فإذا عرفت أنه كتب مقدمة طويلة فى خمس عشرة صفحة لم تتسع لذلك التمست له العذر ، لأنه يحرص على أن لا تطول المقدمة . ونحن على عكسه كنا نريد أن تتسع المقدمة لذلك وأن تتسع أيضاً لكثير من الشرح المودع فى الهوامش إيداعاً شبيهاً بالتستر والاستخفاء .

وكل ما مضى ملاحظات عن المقدمة وما كنا ننتظره منها . وهى بعد ذلك مقدمة ممتازة حقاً واضحة وضوحاً تاماً فى أسلوب رصين معتنى به . تفهمها بمجرد قراءتها وتستوعب ما يريد صاحبها أن يقول فى رفق ولذة ، فتحمد له ذلك وتنشط نفسك له

وإذا كان الأستاذ حريصاً على الأسلوب هذا الحرص فإنى أرى له أن يتجنب المضافات إليها قبل ذكر المضاف ؛ فإن للصحفيين أن يستطيبوا ذلك التركيب الركيك الخاطىء ، أما مثله فلا يقع فى مثله . فإن تكرار المضاف إليه مستثقل فى العادة وهو لا يجوز فى النحو إلا فى عطف ما يكثر اصطحابهما مما يرجع إلى صنف واحد ، فتقول يد ورجل زيد ؛ ولكن لا تقول دار وغلام زيد . ومثل هذا التركيب قد يرد فى الشعر للضرورة ، ولا يباح فى النثر وقد ركب الأستاذ هذا التركيب ثلاث مرات اجتمعت فى صفحة واحدة هى صفحة س .

وانقفز بعد ذلك إلى آخر الكتاب . نجد فيه ملحقات كثيرة منها ما قدمه الناشر على أنه استكمال لنص الكتاب وبدل من الجزء الفاقد ، ومنها جداول وضعها الناشر نفسه ، وهذه الملحقات كما ترى مختلفة فى طبيعتها ، بعضها للمؤلف وبعضها للناشر . ولهذا كان من الواجب أن تختلف التسمية باختلاف الملحقات ، كأن تسمى أما ينسب منها للمقريزي ذيلا أو صلة وهى تسمية مألوفة معروفة عند القدماء ، وكأن تسمى ما ينسب للناشر ملحقاً . وشيء آخر ، هو أن الناشر جعل كل جدول ملحقاً فتكاثرت الملحقات تكاثراً يكاد القارىء يضل فى ثناياه . وشيء ثالث ، هو أن أحد هذه الجداول وضع لشرح قسم خاص من الكتاب فإذا طابقت بينهما وجدت الناشر أقام جدوله على رواية واحدة وأهمل سائر الروايات .

ومن قلة الإنصاف للناشر مع هذا أن نجرح هذه الملحقات بشيء من النقد . لأن الناشر وفق فى جمعها وتعب فى البحث عنها وصور بها الجزء الفاقد خير تصوير . ولكنه مجرد تصور للجزء الفاقد لم يقصد به الحصر . ففى كتب المقريزي عن الفاطميين شيء كثير لم يوضع ضمن الملحقات . غير أن الدكتور الشيال إنما اقتصر على كتاب خاص من كتب المقريزي هو — المواعظ والاعتبار ، فنقل عنه ، وقد ذكر سبباً دعاه إلى ذلك لا نقره عليه ، ولكن هذا القسم الملحق قد أحيا الكتاب وصوره لنا فوضع أمام أعيننا الجزء الموجود ورسم لنا تخطيط المفقود منه .

ولنرجع بعد ذلك إلى الكتاب نفسه لأننا لم نعرض إلى الآن إلا لمقدمته وملحقاته .

الكتاب منشور نشراً صحيحاً سليما . نظر فيه الأستاذ الناشر فأمعن النظر ، وجبر أخطاء النشر القديم ، وتكلف فى سبيل هذا التصحيح عناء وجهداً يستحقان كل الحمد والثناء ، فرجع إلى مراجع كثيرة ضبط بها النص : والمعروف أن التزام النص دون مسه إلا بالاختصار قاعدة جرى عليها القدماء ، لاعتبارهم التاريخ علماً نقلياً لا يجوز التصرف فيه إلا بأقل قدر مستطاع . وضبط الدكتور الشيال كذلك أسماء الأعلام وأسماء الأماكن

ضبطاً تاماً ، وعرّف بها ، فرجع فى ذلك إلى المصادر التاريخية والجغرافية القديمة . وقد كان ينبغى عليه أن يزيد على ذلك فيضع فى الكتاب خريطة جامعة . ثم حسنة أخرى : هى أنه فصّل النص إلى فقرات ، وأضاف إليه عناوين دون أن يتجاوز الحد . ولم يضع هذه العناوين جزافاً ، وإنما أخذها من مصادرها . فاستقام له النص استقامة محمودة ، وأصبح مفهوماً واضحاً . وهذا غاية ما ينتظر من الناشر الأمين ، والمؤرخ الثبت .

غير أن الكمال لله وحده ، هو وحده المنزه عن السهو والخطأ . وقد تورط الناشر فى أخطاء قد يحسن التنبيه إليها . أما بعضها فيتصل بقراءة النص وهوقليل جداً . وأما بعضها الآخرفلا نشك أن المطبعة هي التى ورطته فيه . ومثل هذه الأخطاء المطبعية مما يقع فيه الناس جميعاً ، ومما يقع فيه الناقد نفسه أيضاً . ولكن ذلك لا يبررها .

وقد كانت مطبعة بولاق الأميرية القديمة تحسن ضبط الطبع؛ والمطابع فى أوربا اليوم تعنى بضبط الطبع أكبر عناية ، وتتخذ المراجعين على حسابها ، ولا تقتصر على تصحيح المؤلف . بل قد تنبه المؤلف على أغلاط سها عنها . فإن خلل الضبط يمس سمعة المطبعة أكثر مما يمس غيرها . وقد وضع الناشر قاعة طويلة للتصويبات ، إلا أنه لم يصوب غير الأخطاء الظاهرة ، وترك ما عداها لذكاء القارئ .

والقارئ لا يحب فى العادة أن يتعدى دور القراءة والاستفادة ؛ فإذا كلفته فوق ما يبتغى من القراءة أضجرته وأثقلت عليه . ومن حق أن آخذ له بحقه وأن ألوم المطبعة والناشر . وكيف لا ألوم وقد سمح الناشر لنفسه أن يلوم صاحب النشرة الأولى ، وأن ينبه على أغلاطه واحدة واحدة . ووجود هذه الأغلاط رغم اليقظة وتحرى الضبط توضح لك ما قلته منذ حين : وهو أن كثرة النسخ تدخل على النص من الأغلاط ما لم يكن فيه .

ولهذا كان النشر فناً من الفنون التى تحتاج إلى طبيعة خاصة ، وكان الناشر جديراً باحترام القارئ وتسامحه واحتمال ما يقع فيه من سهو . وإليك الأخطاء التى وقفنا عليها :

لعلى بن أبى طالب ولدان سماهما عمر ، وميز بين العمرين بالأكبر والأصغر ، فلما جاء ذكر أحدهما (ص ٦) أصلح لفظ الأكبر وجعله الأصغر ، ثم جاء ذكر الأصغر (ص ٧) فلم يدخل عليه تعديلاً ولم ينبه عليه ، فترك فى النص عمر بن أصغرين

وفى ص ٨ : فولد الحسن ... وحسناً وإبراهيم وجعفر ، (بدون النصب فى جعفر) وشبيه بهذا أو من قبيله ص١٠ س ٤

وقد ترك النص غير مستقيم ص ٩٩ س ٧ ، ٨ ، وكان إصلاحه ميسوراً . ومن هذا القبيل أيضاً ص ١١٢ س ١٢ ، ١٣ لو حذف : « فتح سوسة بالسيف » لاستقام النص . وشبيه به لفظ « فوقع » ص ١٢٢ س ١٥ ، ثم ص ١٢٣ س ٦ ، فإنه غير مفهوم .

وفى ص ١٢٤ س ١٣ ذكر قلمة كتامة نقلا عن ابن الأثير وهى قلمة كيانة . والفرق بين . وقراءته على ما أراد الناشر فوقع فى خطأ أكبر .

وفى ص ١٨٦ س ٦ قال : « دخل المعز لدين الله أفريقية » وصوابها : رحل المعز لدين الله [عن] أفريقية . والتاريخ المذكور لحركة المعز هذه هو الذى يحتم تصحيحنا .

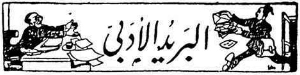
وقد يريد الناشر التنبيه على قراءة مخالفة ، ثم نجد القراءة المخالفة فى الهامش كالأصل فى المتن مثل ص ١٠٦ ه ٥ ، ومثل ص ١٤٤ ه ٢ ، ص ١٣٠ ه ٢

ثم إن من الهوامش ما يطول من غير مبرر ظاهر مثل هامش ص ٢ ، وقد كان يكفى الإشارة إلى صفحتى و ، ز ، من المقدمة . ومثل هذا هين ، وقد يستلطف التكرار . غير أنه فى ص ٣٥ أحال فى الهامش رقم ١ إلى الذى يليه مع أن الذى يليه لا يتصل به إطلاقاً

أما الأخطاء المطبعية اليسيرة فكثيرة العدد ، وقد تقدمنا بلوم المطابع ووفيناها حقها من اللوم والفائدة من التنبيه على هذه الأغلاط ضئيلة ليسرها . ولذلك نضرب عن ذكرها .

ولنلخص ما قلنا : مقدمة رصينة واضحة ، ونص أقيم خير إقامة ، وملحقات بعضها تذييل من كتب المقريزى ، وبعضها جداول من وضع الناشر . ثم شروح مستفيضة . فإذا استثنينا الأخطاء التى وقفنا عليها ، لم نجد غير انتقادات على الشكل فى ذاته وتوزيع الشروح فى كل مكان .

وحسب الأستاذ الناشر أننا نثنى على ضبط النص ، فذلك



إلى درناوى صريح :

ورد لى ما لا يقل عن ٣٢ خطاباً من نواح مختلفة من البلاد العربية بمناسبة ما كتبته عن الصهيونية ثم عن دعوتى إلى الإسلام . إلا أن أمامى خطاباً من أديب من درنة من برقة فى ليبية . وهو موقعه بهـذا الإسم المستعار « درناوى صريح » . وهو الوحيد الذى لم يصرح باسمه وبإمضائه ، وأنا مضطر أن أجاوبه عن طريق الرسالة ، وهذا ما أقتطفه من رسالته قال :

« وددت لو سكت حضرة الأستاذ أحمد عادل وعـدل عن دعوتكم إلى الإسـلام . ما فائدة المسلمين يا ترى فى هـذا العصر (إذا زاد عددهم واحداً) وهم يربون على خمسمائة مليون نسمة . (ما نفعهم) بعد الذى جرى فى فلسطين المقدسة وسيجرى عما قريب فى مكة المكرمة (يعنى إذا كان المسلمون لا يمدون أيديهم للانقاذ) إن الإسلام بالإشارة لا ينفع ولا يضر . والإسلام الحقيق دين قول وعمل معاً ، وما ضر المسلمون فى هذا العصر إلا أنهم يعرفون الله (ولـكنهم) لا يتبعون ما أمر به . وإذا استثنينا الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والأولياء الصالحين من عباده المخلصين وأحصينا الإسلام وغربلناه لوجدنا الإسلام الصحيح قليلا من هذا العدد الـكثير . نحن اليوم فى حاجة ماسة للعربى المجاهد من أمثال الأستاذ نقولا الحداد والذى سن قلمه الـكاوى وقت اللزوم وجعله وقفاً لخدمة العروبة والإسلام وإنقاذ فلسطين ، وذلك بتنبيه العالم على صفحات المجلات والجرائد إلى الصهيونية وتبيين حاضر اليهود وماضيهم « الزفت » مع الأنبياء والمرسلين ونياتهم السيئة نحو العالم العربى » الخ ...

فأولا ، أشكر الأستاذ الدرناوى الذى يقاسى الآن تحت نير الاستعمار الأجنبى الذى يعتبره سلمة تمنح لوصاية أجنبية — أشكر له حسن ظنه بى عظيم الشكر . وما أكتبه فى القضية الصهيونية لا يساوى قطرة دم مما يسفكه أولادنا فى ميادين القتال فى سبيل إنقاذ فلسطين . وبكل أسف أقول إن هذه الدماء تسفك فى ذمة بعض العرب الزعمـاء الذين ظهر أخيراً أن فيهم خونة (الخيانة العظمى) يشترون السلاح من مال أمتهم ثم يبيعونه لليهود . إنى آسف كل الأسف أن أضطر إلى أن نفضح أنفسنا . ولـكن الصبر على المضض يضاعف البلوى . لا أريد أن أتمادى فى هذا الموضوع المؤلم ...

أساس عمله . أما ما عداه فهو متفضل به على القارئ رغبة فى معونته وحرصاً على نفعه .

ولنا إلى ذلك ملاحظات على قائمة المراجع وعلى الفهرست الأبجدى ، ولـكنها ملاحظات تتصل بطريقة العرض . وليس لها محل ما دمنا لم نتفق فى الشرق العربى بعد على أوضاع ثابتة عامة لها

فالـكتاب كما ترى مضبوط مشروح ، فلا يهولنك ما ترى من كثرة الملاحظات فإنها لا تمس إلا الشـكل ونحن إنما نريد بذلك التنبيه على خلل التنسيق .

والدكتور الشيال بعد هذا كله قد وقف نفسه على تاريخ مصر كما فعل المقريزى وجعله مادة الدروس التى يلقيها فى كلية الآداب بالاسكندرية . وقد دفعه حبه لأستاذه عبد الحميد العبادى بك إلى أن يهدى إليه الـكتاب . والواقع أن هذا الإهـداء قد وقع موقعاً حسناً من تلاميذ العميد المؤرخ ؛ فإن فضله على أجيال المؤرخين المصريين المعاصرين لا ينـكر . فهو أول من خرج عن التقليد القديم فى دراسة التاريخ الإسلامى ، ونحا به إلى الناحية العلمية الصرفة ، ثم تبعه تلاميذه وزملاؤه فوجدوه قد شق لهم الطريق وقرب بين منهج الشرقيين والمستشرقين . وللعبادى بك فى نفوس الآلاف الذين تتلمذوا عليه منذ ربع قرن أو يزيد منزلة كبيرة وتقدير عظيم . فهو شيخ المؤرخين غير منازع . وإن له من تلاميذه كتباً حية . وله مقالات تعد نماذج فى ذاتها وصوراً رائعة وهى التى نشرها فى المجلات ، وقد جمع منها ثلاثين مقالة تتناول كلها العصر الأول وعصر بنى أمية ، وسماها : « صور من التاريخ الإسلامى » . أما مقالاته عن العصر العباسى فستظهر قريباً إن شاء الله . ولـكن العبادى بك أهل بغير ذلك لـكل إهداء وتـكريم من تلاميذه الـكثيرين ...

محمد عبد الهادى شعيره

أستاذ مساعد بكلية الآداب باسكندرية

وثانياً ، أن أحد الأدباء فتح عليّ باباً كنت أتحاشاه طول حياتي وهو عرضه الإسلام عليّ . وقد أفهمته بصراحة أني أقرب منه إلى الإسلام ، فلم يقتنع . واقترح على آخر أنه ما دمت اعتقد أن الإسلام كالنصرانية فلماذا لا أعلن إسلامي ؟

عجباً ! ألكي أزيد ملايين المسلمين واحداً وأنقص ملايين النصارى واحداً ؟ « إني أخرج من قضاء الله إلى قضاء الله ».

يا عزيزي ، إن الدين الإسلامي كالدين النصراني عقيدة للعمل لا للقول . وما دمنا نتجادل بالأقوال وننسى واجب الأعمال فنحن إلى الوراء ، في حين أن العالم كله ومنه اليهود إلى الأمام .

كدت أيأس من تقدمنا في ميدان الكفاح العالمي ، ميدان بقاء الأفضل والأقوى . أكثر الله من أمثالك أيها الدرناوي (من درنة) لعلكم تنهضون بالأمة العربية وتدفعونها إلى الأمام .

نقولا الحداد

٢ شارع البورصة الجديدة بمصر

النسبة إلى فلسطين :

نشرت جريدة الأهرام الغراء كلمة لأحد مدرسي معهد طنطا تحت عنوان (فلسطى) خطأ فيها استعمال النسبة الشائعة (فلسطيني) إلى فلسطين معتمداً على ما جاء في (القاموس المحيط) في فصل الفاء باب الطاء ، وهو فلسطون وفلسطين ... كورة بالشام ... تقول في حال الرفع بالواو ، وفي النصب والجر بالياء ، أو تلزمها الياء في كل حال ، والنسبة فلسطى اهـ

وأقول : اختلف اللغويون في النسبة إلى فلسطين أهي فلسطيني أم فلسطى وهذا الاختلاف فرع عن الاختلاف في حقيقة فلسطين أهي مفردة وجميع حروفها أصلية أم لفظها لفظ جمع المذكر السالم فتنزل منزلته وتجرى مجراه فتعامل معاملته ، فمن قال بالأول نسب إليها على لفظها بدون تغيير فيقول : هو فلسطيني وهي فلسطينية ، ومن قال بالثاني عاملها معاملة هذا الجمع فرفعها بالواو فيقول مثلا : عاشت فلسطون عربية ، ونصبها وجرها بالياء فيقول : دخلت الجيوش العربية فلسطين لتحريرها من الصهيونية العالمية ، وتآمرت الدول الأجنبية على فلسطين لتحقيق المآرب الاستعمارية ، وطبق عليها قاعدة النسب إلى الجموع وهي تقضي بالرجوع إلى مفردها وهو هنا فلسط وإن كان لم ينطق به أصلا فقال : هو فلسطى وهي فلسطية وإليك النصوص التي تثبت صحة ما قلت :

جاء في لسان العرب في الكلام على (قنسرين) ما نصه : قنسرين وقنسرون كورة بالشام فمن قال قنسرين فالنسب إليه قنسريني ، ومن قال قنسرون فالنسب إليه قنسرى لأن لفظه لفظ الجمع ؛ ووجه الجمع أنهم جعلوا كل ناحية من قنسرين كأنه قنسر ، وإن لم ينطق به مفردا ... والقول في فلسطين والسيلحين ويبرين ونصيبين وصريفين وعاندين كالقول في قنسرين اهـ

وجاء في القاموس وشرحه وقنسرين وقنسرون وهو قنسرى عند من يقول قنسرون ... وقنسريني عند من يقول قنسرين إلى آخر ما سبق من اللسان .

وجاء في اللسان وشرح القاموس في الكلام على (نصيبين) ما نصه : ونصيبين اسم بلد وفيه للعرب مذهبان منهم من يجعله إسماً واحداً ويلزمه الأعراب كما يلزم الأسماء المفردة التي لا تنصرف فيقول هذه نصيبين ومررت بنصيبين ورأيت نصيبين والنسبة نصيبي ، ومنهم من يجريه مجرى الجمع فيقول هذه نصيبون ومررت بنصيبين ورأيت نصيبين قال : وكذلك القول في يبرين وفلسطين وسيلحين وياسمين وقنسرين والنسبة إليه على هذا نصيبيني ويبريني وكذلك أخواتها ؟

قال ابن بري رحمه الله ذكر الجوهري أنه يقال هذه نصيبين ونصيبون والنسبة إلى قولك نصيبين نصيبي وإلى قولك نصيبون نصيبيني قال والصواب عكس هذا لأن نصيبين إسم مفرد معرب بالحركات فإذا نسبت إليه أبقيته على حاله فقلت هذا رجل نصيبيني ، ومن قال نصيبون فهو معرب إعراب جموع السلامة فيكون في الرفع بالواو وفي النصب والجر بالياء ، فإذا نسبت إليه قلت هذا رجل نصيبي فتحذف الواو والنون قال وكذلك كل ما جمعته جمع السلامة تردّه في النسب إلى الواحد .

فتقول في زيدون اسم رجل أو بلد زيديّ ولا تقل زيدوني فتجمع في الإسم الأعرابين وهما الواو والضمة .

وجاء في شرح القاموس قال الأزهري في التهذيب : نونها (فلسطين) زائدة ، وقال غيره بل هي كلمة رومية والعرب في أعرابها على مذهبين الخ

وجاء في (معجم البلدان) قيل إنها سميت بفلسطين بن سام ابن أرم بن نوح عليه السلام . أو بفلسطين بن كلثوم ، أو بفليشين ابن كسلوخيم من بنى يافث بن نوح ... ثم عربت إلى فليشين الخ

بعد هذه النصوص الواضحة لا أرى وجها لتخطئة فلسطيني وفلسطينية تلك النسبة الدقيقة الصحيحة المألوفة ، ولو أنصف اللغويون لذكروا هذه النسبة بجوار النسبة (فلسطى) كما صنعوا في قنسرين ونصيبين ... فنجوا من القصور والتقصير وأرشدوا القراء إلى الحقيقة ولعلهم تركوها لأنها واضحة أو لفهمها من نظائرها.

علي حسن هلالي
بالمجمع اللغوي

فارس الخوري :

« فارس الخوري » من الشخصيات الخالدة التي لا تنسى ، خدم وطنه وأمته ، وضرب في ميدان السياسة الدولية بسهم وافر بيض فيه وجه سوريا ووجه الأمة العربية جمعاء ، ولهذا الرجل في سوريا احترام بالغ من مختلف الطبقات ، فهو بين السياسيين شيخهم وإمامهم ، وبين العلماء والمثقفين أستاذهم وزعيمهم ، وبين رجال الحكم صديقهم وكبيرهم ، وعند النـاس جميعاً « فارس الخوري » وكفى ...

قالت عنه مجلة « المصور » الغراء(1) بأنه من فرسان الثورة العربية وممن نجح في استغلال الاحتكاك الإنجليزي الفرنسي المتخلف عن الحرب في سوريا ، وأضافت بأنه اختلف — بعد التطهير والنجاح — مع أنداده فكان ممن جوزي جزاء سنمار .. وقالت بأنه لا يستند إلى عصبية حزبية تجعل منه صاحب نفوذ في بلده ، ولذلك فهو قانع بما أصاب من نجاح ، وهو قانع بدوره المادي خارج الحدود ...

وأفهم من هذا أن « فارس الخوري » لم يقدر حق قدره وأنه مازال بحاجة إلى عصبية تؤيده ، وحزبية تسانده ، ليبلغ مكانه اللائق في بلاده ، ولذلك قنع بأن يكون مندوباً عن سوريا ورئيس وفدها في مجلس الأمن ، وإني أحب أن ألفت نظر « المصور » الغراء

(1) في العدد رقم ١٢٠٩ .

إلى أن « فارس الخوري » قد بلغ مكانه اللائق ، وقدرته الأمة ، وأحسنت له الجزاء ، فانتخبته (نائباً) عنها وهو في أمريكا ، ولم يتقدم لمنازعته مرشح آخر فانتخب بالتزكية ، ثم انتخبه المجلس النيابي رئيساً له كذلك في هذه الدورة وفي الدورة السابقة ، وكان في حقبة مضت رئيساً للوزراء .

وفي نظري أن « فارس الخوري » لا يطمع إلى أبعد من هذا ، وهو قانع بما أصاب من صيت ذائع واسم لا مع وشهرة تسامق الفرقدين ، وحسبه أنه في عداد العباقرة الخالدين .

(القاهرة)

عمر الخطيب
(فتى الفيحاء)



الضـــالة

للأستاذ عبد المغنى على حسين

كانت دار الحاج إبراهيم ، بطرف القرية الصغيرة الهادئة ، تشهد مرحا فوق العادة من صغار ساكنيها وأحاديث اهتمام من كبارهم . فهذا أحمد أحــد أبناء الحاج إبراهيم ، فى العاشرة من عمره ، لبس جلباباً جــديداً ، وراح ينظر مبتهجاً إلى خطوطه الزاهية الألوان ، ويجد فى هشاشة جدته أعظم نشوة وطرب ، وعلى رأسه طاقية من القماش نفسه ، وفى رجله الحذاء الذى يلبسه فى الأعياد . وهــذا أخوه محمود ، يصغره بسنتين ، هو صورة مصغرة منه فى الجسم والثياب . وهذه أختهما الصغيرة سعدية ، تضحك فرحة بجلبابها الأحمر ، وعلى رأسها المنديل الجــديد الفاقع الاصفرار .

وجلس الحاج إبراهيم على المصطبة بمدخل الدار ، يبرم مغزله بأصبعيه ، ويلاحق استطالة الفتلة بالصوف المنفوش ، ويخاطب امرأته فيلقى إليها بأوامره ويبادلها الرأى والجدل فى اهتمام واغتباط .

إنهم معتزمون السفر إلى مصر ، يعنى القــاهرة ، لزيارة آل البيت بمناسبة مولد السيدة زينب ، وليوفوا نذراً عليهم لها طال تأجيلهم إياه عاماً بعد عام ، وليقضوا بضعة أيام عند قريبة لهم نزحت إلى القاهرة واستوطنتها منذ بعيد .

فلما دخلوا على قريبتهم ومعهم مقادير من الزاد ذى الروائح الشهية والطعوم اللذيذة من فطائر ريفية وقشدة وما إليها رحبت بهم أعظم ترحيب . ثم جلسوا يتذاكرون الماضى ، ويستعرضون أحوال الأقارب والأنسباء واحداً واحداً وواحدة واحدة ، ثم أخذ الضيوف يبدون إعجابهم بما رأوا فى المدينة الكبيرة من عجاب وجمــال ، رآه الحاج إبراهيم للمرة الثانية فى حياته وتراه امرأته وأبناؤها للمرة الأولى ، تلك الأضــواء المتلألئة والعمائر الباذخة والمتاجر الزاخرة وزحمة مواكب المركبات والخلائق التى لاتنى ولا تنتهى ، وكل ما فيها مسرع عجــل كأنما يسابق الذى أمامه ويفر مما وراءه ، وكأن حيــاته على الأرض ليست سوى ثوان فهو يستغلها على هذا النحو طيراناً ونهباً .

وفى الصــباح بكر الضيوف إلى الخروج ، ليؤدوا الزيارة ويوفوا النذر ، ويملأوا عيونهم من مناظر المدينة . ثم عادوا آخر النهار ومعهم بعض حلوى المولد من عرائس ولعب .

فلما كان آخر يوم لهم بالقاهرة ، وقد اعتزموا الرجوع إلى قريتهم فى الغد ، خرجوا لقضاء حوائج لهم وليستمتعوا بفرجــة أخيرة على زحمة المدينة وقت الأصيل وبهجة أضوائها بالليل . فلما قضوا أربهم وقفوا بمحطة للترام ليستقلوه عائدين .

وكان الزحام شديداً ، والمركبات تأتى غاصة ، كأنها أكداس بشرية تتحرك . وجاءت المركبة التى يريدونها بعد طول انتظار لــكن ليس فيها موضع لقدم أو مسكة ليد ، فلما أراد الحاج إبراهيم أن يركب هو وأهله صاح فيهم « الــكمسارى » ليبتعدوا ونفخ فى زمارته بشدة وانطلق .

وجاءت مركبة ثانية وثالثة ولا يمكنهم الركوب ، حتى عيوا من طول الانتظار . وجاءت مركبة آخر الأمر تريثت فى وقفتها بعض الشيء فاستجمع الحاج إبراهيم نفسه وأهله ليحشروا بين الراكبين بأية طريقة ، ورفع ابنته الصغيرة بين يديه فاندست وغاصت فى داخل المركبة بين الواقفين وهم بأركاب امرأته وابنه . ونظر الــكمسارى فرأى أربعتهم يريدون الركوب وليس لهم موضع ، والوقفة طالت ، ولم يكن رأى الطفلة التى أركبت ، فصاح فيهم صيحته ونفخ نفخته وانطلق ، وجرى الحاج إبراهيم وراء المركبة وهو يصيح بالــكمسارى مستوقفاً لينزل ابنته أو يركبوا معها ، وصاح بعض الراكبين بالــكمسارى ليفعل ذلك ولــكن الــكمسارى لم يفطن إلى ما حدث بالضبط إلا بعد أن كانت المركبة قد استكملت سرعتها والرجل يجرى ليلاحقها بين السيارات المتدفقة بسرعة مخيفة من كل ناحية .

وزمر الــكمسارى مستوقفاً السائق لــكن السائق أصم أذنيه عن زمره وقال فى نفسه إن الذى فاته النزول فى المحطة السابقة

يضيره كثيراً أن ينزل فى المحطة القادمة .

وعجز الحاج إبراهيم عن ملاحقة المركبة ، وأشفق على امرأته وابنيه أن يجروا وراءه فيصيبهم شيء فتوقف وعاد إليهم ، وأمرهم بأن يبقوا فى موضعهم ولا يبرحوه أبداً حتى يلحق بالبنت ويعود بهـا إليهم .

وكانت المركبـة قد بلغت المحطة التالية فأنزل الكمسارى الطفلة الباكية وقال لها : اجرى عودى لأبيك .

وجرت الطفلة عائدة متتبعة شريط الترام ، لكنها لم تمش إلا قليلا حتى رأت شريط الترام يتفرع إلى فرعين فى شارعين مختلفين ، فوقفت متحيرة فى أى الطريقين تمشى لتجد أهلها . ثم تخيرت أحدهما ... وكان الطريق الخاطىء !

وجاء الحاج إبراهيم مسرعاً صوب محطة الترام مؤملا أن يجد ابنته واقفة عندها . فلما لم يجدها غاص قلبه إلى رجليه ، ووقف ينظر حوله طائر اللب . ثم أخذ يسائل عنها من يلقى من الناس فلم يجد أحداً يعرف من أمرها شيئاً .

ومشى واسع الخطى إلى المحطة التالية لعل ابنته تكون أنزلت عندها ، ثم وقف هناك يحوقل ضارباً كفاً بكف .

ومشى محطة ثالثة ورابعة ... حتى يئس من هذا الهيام على غير طائل . وذكر الذين تركهم واقفين فى غربة مخيفة وقلق ممض فعاد أدراجه إليهم .

والطفلة أين ذهبت ؟!.. لقد أخذت تسير وتبكى ، وتقف تنظر حولها باحثة عن أهلها ؛ ثم تسير وتبكى ... حتى يئست من لقائهم فقعدت تعول وتنتحب .

وكان الناس يمرون بها رائحين غادين ، لكن لدى كل من شئونه ما يشغله عن طفلة تبكى وما قد يكون أبكاها من تافه الأسباب . لم يكن يقف عندها إلا بعض الصبية بدافع الفضول وليضحكوا من طريقتها الريفية فى العويل والبكاء . ومر بها رجل استلفته بكاؤها فوقف برهة يسائلها عن خطبها ثم نفد صبره وشيكا لما أبطأت فى الجواب ومضى لشأنه .

ثم أقبل رجل فى مقتبل العمر يمشى الهوينى ، فليس لديه كغيره من الناس عمل معين يقصد إليه . واستلفته بكاؤها فوقف برهة ينظر إليها . وفهم بسرعة ما حدث لها فلمعت عيناه بذكاء شرير وافتر فمه عن ابتسامة كريهة وأسنان ذهبية .

وناداها « سعدية !! » . وكان قد سمعها تسمى نفسها لبعض الصبية الواقفين .

— سعدية !! .. أبوك أرسلنى إليك ... تعالى ! . اجرى !

وانتبهت الطفلة كغريق لمست يده شيئاً ، ونظرت إلى الرجل وكفت عن البكاء .

واستطاع الرجل بقليل من اللباقة والحنان المصطنع أن يستهوى الطفلة الملهوفة فأسلمته ذراعيها وانطلقا .

وركب وإياها الترام — كما قال له أبوها ! — ثم نزل وإياها فى مكان ما . ومشى إلى باب فطرقه وفتحت الباب فتاة طويلة نحيلة ، فى عينيها الرهاوين كحل كثير ، وعلى وجهها الضامر أصباغ دامية . ونظرت الفتاة فلما رأت أنه هو أدخلته ، وهى تبادله تحيات غير طيبات ، وتتحفه متلطفة ببعض السباب . ونظرت إلى الطفلة ، وضحكت ضحكة صارخة ، فغمز لها الرجل بعينه أن تسكت . قالت الطفلة « أين نحن ؟! » قال لها الرجل « فى بيت خالة لك » ثم مشوا إلى حجرة تجلس فيها امرأة بدينة . قال الرجل للطفلة « هذه خالتك » اقعدى هنا ، وسأذهب لآتى بأبيك »

ونظرت المرأة البدينة من الطفلة إلى الرجل ومنه إليها ولم تقل شيئاً . ووقفت الطفلة تنظر حولها فى دهشة وريبة ، لكن الأمل كان أغلب عليها وهى تنظر إلى الرجل الذاهب ليأتى بأبيها .

وقعدت كما قيل لها . وجاء لها بعشاء حسن فأكلت منه ، فلم تلبث أن أحست بخدر ، وراحت فى نوم عميق .

وعاد الرجل فى آخر الليل ... قالت له المرأة البدينة « ما الذى أتى بك ؟! »

— لآخذ أتعابى ... كلام جميل !.. ما الذى أتى بى !!

— أى أتعاب ؟!.. طفلة لا تصلح لشيء !

— طفلة !.. إنها شجيرة بازغة سوف تثمر جوهرها ... إنها دجاجة صغيرة ستبيض ذهباً .. انظرى إلى جسمها السوى وقسماتها الحلوة ... سلام عليها حين تطول وتكتمل ، ويعلو نهداها ، ويشكو خصرها من ردفها !.. ستكون النظرة إليها عندئذ بكذا . وستهوى إلى بيتك ألوف الرجال مسلوبى القلوب مملوءى الجيوب . هيا انقدينى مائة جنيه ، ولا أقول ألفاً مما ستأتيك به من ألوف .

— مائة ! ! مائة من الجن يركبونك !! مائة !!

وجرى على هذا النحو الحوار ، والسلمة المسكينة راقدة فى خدرها العميق .

من لأبيها وأمها فى ذلك الوقت بجرعة من مخدر !.. عندما عاد الرجل المسكين إلى المرأة المسكينة بغير البنت دقت صدرها ، ووقفا ينعتان الليلة السوداء . وأرشدهما الناس إلى إبلاغ البوليس ففعلا ، ثم عاد إلى قريتهما بقلبين ينفطران .

وعبثا سألوا ، وعبثا نادوا . إن ابنتهم زالت من الوجود المعروف . لقفها الشيطان وغاص بها فى عالم الظلمات .

كان أسوأ الفروض عندهم أنها لقيت حتفها على صورة ما . وكان يهدهدهم أمل فى أنها عند بعض كرام الناس . لم تكن تخطر ببالهم ، من لطف الله بهم ، تلك الباءات المعفنة بجسم المجتمع المريض .

قالت المرأة الثكلى لزوجها : حاج إبراهيم ! السيدة زينب غضبت علينا لتأخيرنا وفاء نذرها .

ونذروا للسيدة نذراً آخر ، لكن يظهر أن السيدة زينب لم تكن راغبة فى نذرهم الثانى ... لو كانت السيدة زينب تملك من أمور دنيانا شيئاً لكانت غيرت منها الشيء الكثير ، ولو كانت تغضب من الناس حقاً لما أغضبها إلا هذا الاعتقاد العجيب ، والقول بأنها من أجل ذلك السبب التافه تلجأ لمثل هذا الانتقام القطيع .

واستيقظت الطفلة فى اليوم التالى ، وجلست تفرك عينيها وتنظر حولها مشدوهة . قالت «أين أبى ؟!» قالوا لها صح النوم ! جاء وأنت نائمة ، ولما لم تستيقظى قال أبقوها هنا لتتعلم وتتمدن ، وسأحضر من البلد لأراها من حين لحين » وكانت لا تزال تحس ثقلا برأسها ، فعادت إلى نومها العميق الريب تتخلله مباهج ولذائذ عجيبة .

وأخيراً زال عنها الخدر والنعاس ، وأفاقت إلى الوحشة الموجعة ، والريبة فى المكان والسكان كما يفيق الذى أجريت له جراحة على آلام الجرح الكبير . فعولجت فى الحال بمزيج مناسب من الأبهام والإغراء والإرهاب . قيلت لها مختلف الأكاذيب ، وجيء لها بلذيذ المأكولات وبهيج الملبوسات ، أما انتفاضاتها ومحاولاتها الأفلات فقممت فى الحال بعقوبات رهيبة حتى استسلمت للذى ليس منه بد .

كانت تبكى أهلها سراً عندما تخلو لنفسها ثم أخذت تسلو شيئاً فشيئاً ، وتنسى قليلا قليلا ، ثم اعتادت ما يحيطها ، ثم أخلدت إليه ، ثم ألفته ، ثم لم تعد ترى الحياة إلا سهر الليل ونوم النهار وأحاديث الدنس ومشاهده وكل ما يتعلق بصناعته .

تخرجت سعدية فى معهد الشيطان ، فلما اكتملت أنوثتها واستوت لم تكن بحاجة إلى أغواء وكانت هى المنوية .

لم تعد تبكى أهلها . بل لم تعد تذكر منهم إلا ظلالا حائلة طافت بناظريها أيام الصغر ، ومشاهد القرية والدار والحقل صارت أطياف أحلام لا تخطر لها إلا فى منام . إنها اليوم امرأة حضرية تجيد التزين والمشى فى الطرقات بخطرة ونظرة وبسمة يتهاوى لها كثير من الرجال . حياتها سهر وخمر ولهو وعبث ونقود كثيرة تأتى وتذهب ، ورجال كثيرون يجيئون ويمضون . متعة متصلة فيما يبدو ، لكن آه كم هى مملة ومضنية . أين هى من خفقة حب حقيقية ، وخلجة حنان طبيعية . إنها متعة الجسد وحده والروح فى حرمان ، وما أثقلها متعة .

ثم آه من صناعة كل عدتها رواء الشباب ، وكل يوم يمر يحدث فى المدة ثلمة ليس لها التئام . كل الصناعات يزداد صاحبها على مر الأيام قدراً إلا هذه الصناعة فلا تزيد الأيام صاحبها إلا رخصاً .

إن سعدية كانت ولدت لتكون امرأة قروية تتزوج رجلا قروياً وتلد له بنين وبنات وتمشى إلى الحقل حافية فى أثواب بسيطة سوداء وتأكل الخبز المقدد وتافه الأدام . حياة شظف وخشونة ، لكن آه ! إن فيها قلبين يتجاوبان ، وتمى الأمومة لا تمدلها نماء .

أى الحياتين أفضل ؟!.. لكن ما جدوى المفاضلة بينهما ؟ . وهل كان لسعدية فى أمرها أى اختيار ؟ .. إن الذى هى فيه قد أريد لها وكان .

نعم لا أحد عنعها الآن أن تخلع زينتها ، وتغسل أصباغها ، وترمى عنها أثوابها الفاضحة ، وتخرج تائبة منيبة وتتزوج رجلا إن

وجد ، أو تقضى بقية العمر متبتلة طهوراً عاملة لكسب عيشها بعرق الجبين . لكن الذى يستطيع أن يخلق نفسه هكذا خلقاً جديداً لا يكون إلا ملاكا أو قديساً ، وسعدية لم تكن ملاكا ولا قديسة بل كانت امرأة عادية كغيرها من ملايين النساء .

هذه الخواطر كانت تطوف بنفس سعدية فى بعض الأحيان فلا تلبث أن تنفضها كلها عنها بهزة كتف وتنصرف إلى شىء آخر وهى أن تلوك بشدقيها مضغة اللاذن .

وذات يوم وهى تتخطر فى الطريق رأت رجلين قرويين أحدهما يكبرها بسنتين ويصغرها الآخر عثلها ، ومعهما قروى عجوز مهدم وقروية عجوز لا تكاد تبصر . لم تكفها منهم كغيرهم من الناس نظرة عابرة بل علقت بهم عيناها لا تستطيعان عنهم حولا . ودارت بها الدنيا وهى تهوى بذا كرتها عبر السنين إلى أعماق الماضى البعيد . وتبعتهم عن كثب وقلبها يكاد يتوقف عن الخفقان .

ورأتهم يدخلون ضريح السيدة زينب . لقد عادوا يتوسلون إليها كيما تعود إليهم ابنتهم المفقودة . وماذا تصنع السيدة زينب فيما أقيم فيه العباد ؟ إن الله ربها وربهم لا يغير شيئاً بهم مالم يأت التغيير من جانبهم . ما حيلة السيدة زينب فيما لا يريده الله .

وطفرت من عينى سعدية دموع حرى . دموع لم تعرفها منذ فقدت أهلها أول مرة . وهؤلاء هم أهلها على بعد خطوات منها . هل تذهب إليهم وترتمى عليهم ؟ إن ثيابها وزينتها وسحنة وجهها ونغمة صوتها كلها مطبوعة بطابع داعر . وهى إن ذهبت إليهم فسينكرونها حتما وان يعرفوها أبداً ، وإن استطاعت أن تعرفهم بها فلن يمحوا عنهم عارها إلا قتلها . خير ألف مرة لهم ولها أن يبقوا على ظنهم من أنها لقيت حتفها صغيرة على براءة وطهر ، أو أنها ، إن كانت تعيش ، فعلى أى حال غير هذه الحال .

وأشاحت بوجهها عنهم وولت مدبرة .

لقد كانت طفلة ضالة ، وهى اليوم امرأة ضالة .

عبد الغنى على حسين
